مراكش: تمثلاته من الدرب إلى الحاضرة

مقاربة نظرية ومنهجية

الجزء الأول

مراكش: تمثلاته من الدرب إلى الحاضرة

مقاربة نظرية ومنهجية

الجزء الأول

المؤلف

ذ. يوسف زكار

فضاء آدم للنشر والتوزيع

212 6 74 81 20 30

هاتف/ فاكس : 23 19 29 24 5 212

رقم الإيداع القانوني :

2017 MO 5317

ردمك :

978-9954-9726-4-9

الطبع :

المطبعة والوراقة الوطنية
IMPRIMERIE PAPETERIE EL WATANYA
زنقة أبو عبيدة الحي المحمدي الداوديات
مراكش – الهاتف : 74 37 30 24 05 - 91 25 30 24 05
الفاكس : 23 49 30 24 05 e-mail: iwatanya@gmail.com

مراكش: تمثلاته من الدرب على الحاضرة
مقاربة نظرية ومنهجية
الجزء الأول

ذ. يوسف زكار

إهـــــداء

أقول للذين هم وراء خروج هذا العمل إلى القراء ونادوا بينهم بموتي.

شكرا

تقديم عام

اهتمت العديد من الحقول بالوصول وبفهم المعنى الذي يعطيه الأفراد لمعيشهم. فمن الفلسفة إلى الاجتماع، ومن علم العمارة إلى السيكولوجيا، ومن تدبير الموارد الطبيعية والجغرافيا إلى الإعداد الحضري والجهوي وغيرها. فتساءلت هذه الحقول، فيما تساءلت عنه، عن السلوك الإنساني والعلاقات التي تربط معيشه ومجاله. فحاولت فهم تلك العلاقات، لتبني عليها نماذجها الإرشادية الممكنة من فهم الظواهر، وإيجاد الحلول للمشاكل ، وتوسيع هامش الرفاه الاجتماعي؛ إذا ما نحن سلمنا بأن الإنسان هو المحور وهو الغاية.

وإذا ما نحن انطلقنا من اعتبار الفرد ورفاهه داخل مجاله، ريفيا كان هذا المجال او حضريا، هي غاية منشودة. يمكننا القول بأن كل إعداد- من حيث كونه الشق التطبيقي للتخصصات المهتمة بالإنسان والإجتماع على حد سواء- لا يأخذ بعين الاعتبار، إضافة إلى عنصر المجال، الجماعات والأفراد والمعنى الذي يعطونه لمجالهم، قد لا يؤدي إلى الرفاه المرجو منه .

حسب منطق مشروع سلسلة الإنتاجات العلمية التي نهدف إلى تقديمها للقاريء، وحسب منطق تدرج ظهور أعدادها، يعتبر الانطلاق من" الأسفل "- اي من حيث تفاعل الأفراد والجماعات داخل مجالهم- نقطة البداية . والتي نختارها مؤطرة بثلاثة ابعاد متكاملة ومتضافرة

لا ينفك تأثير احدها على الآخر في كل موضوع دراسة؛ وهي: البعد المعرفي والبعد المواقفي والآرائي والبعد الإستعمالي الإستخدامي.

نتساءل في البداية عن معالم المجال الحضري لدى ساكنة سيدي يوسف بن علي(سيبع)، أول أقدم أحياء مدينة مراكش خارج الأسوار؛ وكيف تتمثله هذه الساكنة، وكيف تعيشه؟ وكيف تستهلكه؟ لنتابع بعد ذلك في إصدار آخر باقي تمثلات ساكنة باقي الأحياء حديثة البناء منها والقديمة) لنفس المجال. ولعل قلة الأبحاث في هذا الموضوع، تضفي المشروعية على اختيار مشروع هاته السلسلة.

فمما سبق، سنتطرق في هذه السلسلة إلى تمثلات الساكنة القاطنة في أحياء مراكش لمجالهم الحضري،مؤطرين إشكاليا بقدر ما نفهم المواقف والتاريخ الشخصيين للساكنة ، بقدر ما نكون على خطى فهم ومعرفة للمجال الذي يعيشون فيه . و بدرجة معرفتنا، من جهة أخرى، للوسط الذي تعيش فيه الساكنة، أو عاش فيه الفرد وفق تصور تطوري، بدرجة ما تصبح تصرفاته واضحة وتطلعاته جلية.

تتأطر إذن مواضيع السلسلة من حيث الموضوع، داخل العلاقة الرابطة بين الساكنة القاطنة في مختلف أحياء مدينة مراكش وبين هذه الأخيرة في جرئها الحضري. ومن حيث المنهجية، يتأطر داخل منطق البحوث التطبيقية، وهذا ما يترجمه مواضيع الإصدارات المقدمة المؤطرة بالثلاثي: معارف – دراسة - تطبيق.

ولهذا الغرض، ارتأينا تقديم هذا المشروع في ثلاثة : الجزء الأول، يؤطر كل الإنتاجات المعرفية لباقي الأجزاء التي تليه كرونولوجيا، من الناحية النظرية والمنهجية. أما الجزء الثاني، فيعنى بكل نتائج البحث في ثمثلات الساكنة لمجالهم الحضري حسب الأحياء، مقدمين تمثلات كل حي في إصدار قائم بذاته. وبما أن همنا عملي بالدرجة الأولى، فالجزء الثالث يقدم السيناريوهات القابلة للتطبيق في السياسات الإجتماعية الحضرية المجالية للمدينة، والمعتمدة بدرجة اولى على مخرجات التمثلات في أفق تدبير مجالي كيفي أكثر منه كمي. بمعنى آخر، يقدم الجزء الثالث كل ماهو عملي تطبيقي قابل للإجراء باعتماد تمثلات الساكنة وقراءتهم لمجالهم من جهة، ولمدى قدرة هذا المجال على إتاحة القراءة فيه.

الإصدار الأول: نتطرق في الفصل الأول فيه، إلى الجانب النظري والشق المنهجي والفصل الثاني،قاربنا من خلاله الإطار المجالي والإجتماعي لمجال الدراسة. لقد قسم الفصل الأول من هذا الباب والمعنون بالتمثلات المجالية :مفاهيم ونظريات إلى مبحثين: الأول تطرقنا فيه إلى التمثلات ومختلف تعاريفها حسب الحقول المعرفية . لقد قاربنا فيه التمثلات في الجغرافيا، حسب التيارات المختلفة التي اهتمت بها، معتمدين في ذلك على عمل من أعمال بايي أنطوان. وقد أنتهينا في هذا المبحث، بمجموعة من الدراسات الأكاديمية التي ساهمت في تأسيس مفهوم التمثلات المجالية ، ابتداءا من كولد

وداونز وستي، وصولا إلى بايي و جودليه وملكرام، مرورا عبر بعض النماذج في دراسة تقويمات الإشباع المجالي وجودة الحياة . وقد ختمناه بخريطة ذهنية تبرز أهم ما تطرقنا إليه في هذا المبحث.أما المبحث الثاني من هذا الفصل، فقد أفردناه للشق المنهجي المعتمد في هذه الدراسة. حيث تطرقنا فيه لأسباب اختيارنا لهدا الموضوع،موضحين فيه أهم الفروض والتساؤلات الموجهة للبحث .

أما الفصل الثاني من الباب الأول، فيتطرق إلى الدينامية المجالية لنسق مدينة مراكش، وحي سيدي يوسف بن علي(سيبع). ويشمل مبحثين : الأول يظهر أهم التطورات و التغيرات المجالية والسكانية التي عرفتها مراكش، و العوامل المتحكمة في توسعها. وقد قسمنا ذلك إلى مراحل، تبدأ من التأسيس إلى الوقت الراهن عبر مرحله الإستعمار وأهم التوجهات الكبرى واختيارات واتجاهات التعمير التي أسست لظهور نمط مختلف من حيث النموذج والمرجعية الثقافية والنسيج العمراني، وتأثير كل ذلك على تمثل ساكنة سيبع للمجال الحضري. وسيناريوهات استغلال النتائج في سياسة تثمين المجال المعيش.

الباب الأول :

الإطار النظري
والمنهجي والمجالي

الفصل الأول :

الإطار النظري والمنهجي

من المؤكد أن مثل هذه الهوية موجودة !

- سوى أنها محض اختلاف ، خيال بحث .
- لا إنها نابعة من الجغرافيا والتاريخ
- ليس هناك تاريخ واحد ، فعن أي تاريخ تتكلمين؟ (...)
- وماذا عن الجغرافيا ؟ (...)
- لم تكن الجغرافيا موجودة حتى خطت الخرائط (...)
- وهل تحتاجين إلى خرائط لكي تبصري لون البحر ، و لكي تشمي عطر الجبال ،و لكي تستنشقي طعم ماتأكلين ، وما تشربين [1]؟

فريدة تشيتشيكوغلو

---

[1]- فريدة تشيتشيكوغلو، متوسطية؟، ترجمة بسام حجار، تصورات البحر الأبيض المتوسط، الموسط التركي، طلاسا، لبنان، 2003، ص 51.

مقدمة

إن ما يجعلنا نفتتح الحديث عن التمثلات الحضرية بهذا الكوجيطو المثير، ليس هو السعي وراء مجازفة فكرية طريفة أو إغواء فلسفي، بل هو أساس موضوع التمثلات المرتبط بوثاقة بالوجود البشري في علاقته بمجاله. إنه موضوع المستوى الثاني و الثالث من الواقع :فكرة المجال كمستوى أول ثم المجال كماهو في الذهن المستوى الثاني والمجال كما هو معبر عنه في الخرائط والرسوم كمستوى ثالث.

إن كل دراسة تباشر موضوع التمثلات ، تتجنب محاولة التعريف المباشر، أو على الأقوم تتجنب المحاولة المألوفة في تعريف الظواهر، التمثلات المجالية – بالطريقة المدرسية النظرية ، طريقة التعريف الجامع الشامل ، وحتى إن وجدت هذه المحاولة فنتائجها تكون امتناع التمثلات المجالية عن التعريف . ولأنه ليس هناك ماهو أكثر إشباعا من حيث الحمولة والدلالات وأكثر تفلتا من حيث التحديد من حمولات وتحديد وإشباع وتفلت التمثلات المجالية[1] .

فأغلب الدراسات المتخصصة ، لاتحاول أن تبدأ بإطلاق تعريف للتمثلات إلى درجة أن القارئ يشعر أن التعريف يجمع شتاته من تلقاء ذاته ، بعد التوغل في الدراسة والبحث؛ وكأن نقطة الإنطلاق في بحث التمثلات هي المشترك بين الباحث وقارئه .

[1] -Yves André,pour une géographie de représentation,in Yves André , Antoine Bailly at All ,représenter l’espace,l’imaginaire spatial à l’école.

ففي هذا الفصل، سنقوم بتعريف التمثلات كمفهوم وكنظرية مرجئين تعريف المجال الحضري إلى حين الحصول على المعني الذي يعنيه بالنسبة للساكنة. لا لشيء إلا للبقاء متناغمين مع منطق البحث من الأسفل. سيقسم هذا الفصل إلى مبحثين: اولهما نظري وثانيهما منهجي. سنتطرق في الإطار النظري إلى تمثلات المجال سيرورة تكوينها، عوامل تعديلها وتنوعها ثم المجال ودوره في التنشئة. والثاني سنتطرق فيه إلى الإطار المنهجي.

المبحث الأول: الإطار النظري

مقدمة

من المفيد التوقف عند جنيالوجيا نحث هذا المفهوم الظاهرة، وتمحيص الإيواليات التي شكلت أساسا لبناء هويته الأكاديمية. وينبغي لخطوة مماثلة، أن تجري وفق منظور دينامي، بان للجسور بين حقول معرفية متكاملة : علم الإجتماع ، علم النفس والفلسفة من جهة وجغرافيا التمثلات – كما سماها بايي- من جهة أخرى. وسننتقل ،في هذا الصدد من التعريفات المعجمية إلى التعريفات الأكاديمية لمعرفة نقاط الإلتقاء بينهما، مشيرين إلى أهم التيارات التي اهتمت بدراسة التمثلات في الجغرافيا،ومركزين على انتقاء مجموعة من الدراسات الهامة التي قاربت الموضوع والتي سنتبناها في تحليلنا طيلة حياة هذا المشروع

I. من أجل تعريف للتمثلات : المفهوم المشترك الأكاديمي تحت المجهر

1-1- التمثلات حسب المعاجم:

التمثيل : مثل الشيء بالشيء سواه ، وشبهه به، وجعله على مثاله، ومثل الشيء لفلان صوره له بالكتابة أو غيرها ، حتى كأنه ينظر

إليه . فالمثيل إذن هو التصوير والتشبيه ، والفرق بينه وبين التشبيه أن كل تمثيل تشبيه وليس كل تشبيه تمثيلا.

وهو في علم النفس : فعل ذهني تحصل به المعرفة ، كالإدراك الحسي، والتخيل والحكم من جهة ماهي باعثة على حصول صورة الشيء في النفس ، وتسمى هذه الظواهر بالظواهر العقلية ، وهي مقابلة للظواهر الإنفعالية والفاعلة .

وفي كل تمثيل ممثل وممثل فالممثِل هو الذات المدركة ، والممثَّل هو الشيء المدرك ، والمثال هو الجامع بينهما ، ومن شرط المثال أن يكون مطابق للشيء يرمز إليه وينوب عنه (...) .

والتمثيل عند هاملن هو القدرة على إدراج الشيء الحسي المشخص في إحدى مقولات العقل .

تمثل الشيء تصور مثاله ، ومنه التمثل هو حصول صورة الشيء في الذهن ، أو إدراك المضمون المشخص لكل فعل ذهني ، أو تصور المثال الذي ينوب عن الشيء ويقوم مقامه. ويطلق التمثلي أيضا على الصورة التي ترجع إلى الذهن عند غياب الشيء الذي تمثله. ونظرية الأفكار عند الديكارتيين هي القول أن الذهن لايدرك الشياء بل يدرك مثالاتها .[1]

أما لسان العرب فيعرف ابن منظورالتمثل من خلال فماثل الشئ: شابهه. والتمثال : الصورة، والجمع التماثيل. ومثل له الشئ

[1]-جميل صليب ،المعجم الفلسفي ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،بدون..ص 341.342

:صوره حتى كأنه يتظر إليه.وامتثله هو أي تصوره. والمثال:معروف والجمع أمثلة ومثل.ومثلت له كذا تمثيلا إذا صورت له مثاله بكتابة وغيرها مالتمثل هو تشبيه الشيء بالشيء [1].

أما حسب علم النفس فجان بياجي يقول أن" التمثل هو إثارة واستحضار أشياء ومواضيع غائبة ذهنيا ، أو إستكمال المعرفة الإدراكية للأشياء الحاضرة بالرجوع إلى أشياء غير حاضرة في تلك اللحظة."[2] فالتمثل بالنسبة منبثق من الداخل في اتجاه الخارج حيث يتم إسقاط الأول على الثاني في أفق التوازن: توازن الفرد مع مجاله.

1-2- حسب العلوم الإجتماعية

دون الحديث عنه في الفكر الفلسفي، فقد ظهر في علم الإجتماع وتأسس في علم النفس الإجتماعي وتم تبنيه من طرف الجغرافيا وعلوم أخرى، هكذا كان منطق البناء الأكاديمي لموضوع التمثلات في العلوم الإجتماعية.

1-2-1 التمثلات في علم الاجتماع:

لقد نقل دوركايم التمثلات من بعدها الفري إلى بعدها الجماعي. أخذ دوركايم في حسبانه الأسطورة، الطقوس، وتفكير الجماعات، مشيرا إلى أسبقية الجمعي على الفردي، ليخالف بذلك التفسيرات

---

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، جذر مثل، المجلد الرابع عشر، دار صادر .ط4 ،بيروت،لبنان،2005، ،

[2] -Piaget .j et Inhelder, B, la représentation de l'espace chez l'enfant, PUF , Paris,1947 , p 23

السيكولوجية السائدة آنذاك. فلا يمكن، في رأيه اختزال التمثلات الجماعية في مجموع تمثلات الأفراد المكونين لمجتمع ما. إن المسالة تلامس الفضاء الرمزي الذي له أهميته بالنسبة للحياة الاجتماعية فهو "ناتج إنجاز، يكونه المجتمع أثناء بحثه عن تفسير محيطه المادي وإعطائه معنى لتنظيمه أو لبنياته التراتبية"[1].

فأصدر مؤلفه المشهور: التمثلات الفردية والتمثلات الجماعية، وقدم فيه التمثلات الجماعية كمجموع على تمثلات جماعية تكشف عن المشتركة بين معظم أعضاء مجتمع ما"[2] وبهذا يتوفر كل مجتمع على تمثلات جماعية تكشف عن المشترك بين جماعات مجتمعية. لكن إن كان الطابع الجمعي يغلب على تمثلات دوركايم فإنها لم تكن قادرة على التفسير والأجرأة. يقول جيل فيرول في هذا الصدد:"إنها تعبر عن ظاهرة لكنها ليست في الحقيقة مفهوما إجرائيا"[3] حيث لم تصله إلا مع موسكوفيسي.

2-2-1 التمثلات في علم النفس الاجتماعي:

قدم سيرج موسكوفيسي في سنة 1961 كتابه، الذي كان نتاجا بحثه في الدكتوراه، علم النفس، صورته وجمهوره(La

1 Mhamed idrissi janati "les représentations en actes: une reinvention de l'approche géographique, Almadaris, n°3, 1999, pp61-75
2 Durkeimn E, Représentations individuelles et représentations collectives, Janati, , op cit, P 62
3 Denis Jolelet, "Représentation sociale" Phénomène, concept et théorie, in Moscovici,S, Psychologie sociale, Puf Pais, 1984-2005, pp 363-384.

psychologie, son image et son public دراسة تحدث فيها عن التمثلات الاجتماعية التي جمعت بين حقلين: علم الاجتماع وعلم النفس التكويني مع بياجي. لقد تمكن سيرج موسكوفيسي من بناء قنطرة بين الفرد والجماعة؛ حيث انتقد موسكوفيسي التمثلات الذهنية الفردية عند بياجي، الذي يرى أن المعارف تكتسب من خلال علاقة الفرد بالموضوع، فكانت التمثلات بالنسبة له بناءا فرديا مع إقصاء المجتمع. فالتمثلات بالنسبة لموسكوفسي، نوع من التفكير الاجتماعي المشترك فهو موضوع لمعرفة العامية. يتجسد من خلال:

-**إضافة أشياء** لموضوع المعرفة: المجال الحضري المراكشي بالنسبة لنا.

-**حذف أشياء:** المجالات التي ترسم فارغة وفي الواقع هي منطقة سكنية مثلا.

-**التركيز على أشياء:** المسالك والطرق بالنسبة لدراستنا وأبواب مراكش العتيقة مثلا

إن قصدية كل هذه العمليات هي الفهم، والألفة مع ما هو جديد، وفي هذا الإطار تقول جودلي دينيس، بأن التمثلات الاجتماعية توجهنا بالطريقة التي نعرف بها كل مظاهر الحياة الاجتماعية ونؤول بها ما يحدث. وهي التي تجعلنا نأخذ موقفا من هذه الأشياء الاجتماعية ونحن نطبق المجالية. فللتمثلات الاجتماعية علاقة إذن، وطيدة بنمط التفكير السائد وبالمرجعيات الفكرية السابقة التي تؤثر في سيرورة إنتاجها قصد

فهم واستقبال الشيء الجديد، لكي يصبح مألوفا. فهي تحتوي على عناصر من طبيعة معرفية، إديولوجية، معتقدات، قيم،مواقف، صور، آراء. تقول جودلي دينيس(Jodelet.D): بأن التمثلات الاجتماعية " شكل من أشكال المعرفة العادية التي تسمى بالمعرفة العامية[1].

وتستخلص من التعاريف السابقة أن:

- ليس هناك تمثل بمعزل عن المتمثِل ،ساكنة سيبع بالنسبة لموضوعنا، والمتمثَّل، المجال الحضري لمراكش بالنسبة لنا والتمثُّل الذي نبحث عن ملامحه.
- تواجد الصورة الذهنية في التمثل: فالمرئي في المجال يولد الصور الذهنية واللامرئي فيه يعبر عنه بالكلام .
- إن التمثل مبني اجتماعيا ومشترك بين أفراد المجتمع و ذلك انطلاقا من تجاربهم ومعارفهم والسسلجة التي يتلقوها ويمرروها عن طريق العادة والتربية والتواصل الاجتماعي؛
- غايته التنظيم والتحكم في المحيط المادي والاجتماعي والفكري وغايته كذلك توجيه السلوكات والاتصالات،كما قالت جودليه؛
- تهدف التمثلات إلى تكوين نظرة مشتركة لدى جميع أفراد المجتمع.فالتمثل إذن، سيرورة بناء متجددة ودينامية هدفها جعل المجهول معلوما.

---

[1] - Jodelet ,D Les représentations sociales ,PUF , Paris , 1991 , p. 34

3-2-1 التمثلات:في حقل الجغرافيا

استعمل هذا المفهوم من طرف مجموعة من الجغرافيين، كما تمت الإشارة إلى ذلك في المقدمة. وقد حد بدقة، فبالنسبة للفرنسيين، سنة 1984، من طرف جان بول كيران، في مقدمة رسالة دكتوراه. وقد عمد كيران إلى تبني واعتماد علوم المعرفة في تحديد معنى التمثلات، معتبرا إياها "إنشاءا مجتمعيا"[1]

فتبني هذا المفهوم من طرف الجغرافيين المدافعين عن جغرافيا الإدراك[2] التي أضحت بعد ذلك ودون تغيير في الموضوع جغرافيا التمثلات[3].

لقد كانت القيمة المضافة التي جاء بها هؤلاء الباحثون هي إدخال عنصر المجال كمؤثر له أهميته في المنطق الداخلي لحقل الجغرافيا مقارنة مع باقي الحقول. لكن زاوية الرؤية إلى هذا المجال انطلقت من أسفل: السكان والمعنى الذي يعطونه لمجالهم عوض الرؤية من أعلى: المجال في ذاته.

وتظهر أهمية هذه المقاربة حين عمل على مسألة تقديرات الأفراد للزمن والمسافة، فتحدث عن النماذج التاريخية والثقافية في

---

[1] Guerin, G.P. et All, représenter l'espace, l'imaginaire spatiale, à l'école, Anthropos, Paris, 1981, p

[2] BaillyA., "la perception des paysages urbains, essai methodologique"in sophie,B,au-delà dela représentation , le paysage, strates, n° 11, 2004,states, revues, org, consultée le 10 aout 2009.

[3]sophie,B.,au-delà dela représentation , le paysage ,Op cité.

علاقتها بالمجال كرمز. إما الإضافة النوعية، فتظهر من خلال تمظهرات المجال كما هو في الذهن، التمظهرات الثلاث: بنيوية وظيفية ورمزية والكل له علاقة بالذاتية. ومن هنا، فجغرافيا التمثلات، قد ابتعدت بنا عن مجال نيوتن المطلق وقربتنا ن مجال نسبي غني، نسقي ومفتوح، لا مكان فيه للتحليل السببي البسيط فيه. و يعرف الجغرافي جون بول كيران (J.P. Guérin) التمثل بأنه" *إنشاء اجتماعي لتخطيطات ملائمة حول الواقع*".[1] فالتمثلات إنشاء اجتماعي أو فردي، لأنها ذات مرجعية فردية أو جماعية. وهي كذلك خطاطات ذهنية ملائمة، يكونها الفرد أو المجتمع عن العالم المحيط، لأنها تعد مادة أولية بالنسبة إلى الباحث الذي يريد دراسة وتحليل الممارسات المجالية باعتبارها ديناميات مرتبطة بالقيم والثقافة والايدولوجيا السائدة في مجتمع ترابي ما.[2]

---

[1] - Guérin . P , , Anthropos/ Reclus , Paris . 1990 ,p 10

[2] -Bailly et al , , Encyclopédie de géographie,Economica, Paris , 1995, p 372

1-3- التمثل :سيرورة و صيرورة

تزخر الأدبيات العلمية بالعديد من المصطلحات المستعملة للحديث عن التمثلات . فقد استعمل طولمان Tolman الخريطة المعرفية (carte cognitive) سنة 1948 لوصف سلوك الجرذان، مماثلا مع ذلك ، وصف سلوك الإنسان[1] داخل وسط معين . يؤكد طولمان على أن جهاز الإنسان العصبي ، يحتوي على خريطة تستعمل للتوجيه داخل المجال وتستعمل كذلك لتنقلاته اليومية . وأطلق لينش كيفن (Kevin lynch) مصطلح الصورة الذهنية (les Images mentales) سنة 1960 [2]، للتعبير عن التمثلات كذلك ، في حين استعمل كل من بيتر كولد (Peter Gould) وريتشارد وايت (Richard White) سنة 1974 مصطلح الخرائط الذهنية (les cartes mentales) وعبر عنها تفيرسكي (B.Tversky) سنة 1994 بنماذج المجال الذهنية (les modèles mentaux de l'espace) .[3]

---

[1] Tolman.E.C,cognitive maps in rats and men, Psychol ,rv,4,1948 in pailhous.j,Le représentation de l'espace urbain, l'exemple du chauffeur de taxi, Paris,PUF, coll du travail humain,1970,p25.

[2] Anselm.S,the image of the City,by kevin lynch,the American journal of sociology,vol 66,N 4, 1961,p.p 426-427

[3] Kaira .H,Représentation cognitive de l'espace urbainchez les adolescents , une première approche méthodologique des disparités liées à l'age ,laboratoire image et ville ,2005,p2

من هنا، ينضاف التنوع في استعمال المصطلحات الدالة على التمثلات ، إلى غنى تعاريف هذه الأخيرة من حقل لآخر بل وداخل نفس الحقل، ومنه يحق لنـــا نعتها بالمركبة ، وبالتالي، لايتم دراسة المركــب إلا بالمركب. فحسب ميشال دينس (M.Denis)، تعتبر التمثلات سيرورة وفي نفس الحين نتاج لهذه السيرورة[1]. فمنذ 1973 وداونز روجر (R.Downs) وداوود ستي (D.Stea) يركزان على أن **التمثلات سيرورة مكونة من تحويلات سيكولوجية عديدة بفصلها يحصل الفرد ويخزن ويتذكر ويفكك شفرة المعلومات المتعلقة بتموضعاته داخل مجاله** . وبما أن سيرورات التكوين تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم ومعيشهم فالمسألة تستدعي الحديث عن التمثلات بصيغة الجمع.

لم يتوانى لوبوير ليفي C.Levy-leboyer ، في هذا الصدد عن الإقرار وتأكيد ذلك ، فالتمثلات بالنسبة له هي " في الوقت نفسه، بناء وتركيب تكون عبر تجارب معيشة للأفراد والجماعات وعبر إدراكات متكررة وتنقل داخل الوسط. فهي لاتأخذ بعين الإعتبار المعلومات الصادرة عن العالم الفيزيقي فقط ، بل وأيضا المعطيات الإجتماعية والثقافية "[2] داخل نسق معين .

---

[1] Kaira .H,op cit ,p2
[2] op cit, p 3

فمن هذا المنطلق، ولأن الثقافي والإجتماعي متعدد، يمكن اعتبار التمثلات عن مجال ما ، تمثلات معدلة وفارقية وفق نماذج داخلية للأفراد والجماعات.

II. التمثلات وعوامل تعديلها: نحو فارقية التمثلات

تختلف التمثلات حسب الأشخاص ، مميزاتهم ، أفعالهم والأوساط التي ينتمون إليها . تتدخل عوامل عدة في سيرورة تكون التمثلات وبنائها . وتؤثر هذه العوامل على مستويات عدة ، فبما أن كل فرد يدرك المجال بطريقته الخاصة، لكونه لايتوفر إلا على ذهنه في هذه العملية. إذا ما نحن أردنا استعمال تعبير راتزل ، حيث يقول بأن الإنسان بكونه ذلك المخلوق الأرضي لايتوفر إلا على سلاح وحيد يلائم شساعة المجالات الضروري صراعه معها ، هذا السلاح هو ذهنه [1] وعوض صراعه سنستعمل تفاعله :

فالعوامل العصبية والشخصية والاجتماعية من العوامل المؤثرة على ذهن وإدراك كل فرد وبالتالي تؤثر على تمثل المجال الذي يعيش فيه هذا الإختلاف يتجلى في المعنى الذي يعطيه كل فرد لمجاله، تجاربه السابقة، قيمه الشخصية ونشاطاته الفردية[2] . وسنسمي

---

[1] - Razel in Bailly.A,André.Y,pour une géographie des représentations ,op cit,p15

[2] - Kaira .H,idem ,p3

هذه العوامل بالمصافي ، المخيال (جمعي ، ثقافي ...) .فلاتمثل إلا عبر مصافي.

1. التمثلات بين المصافي العصبية والشخصية والاجتماعية

1-1- مصافي عصبية[1]:

نستقبل المعلومات عن طريق الحواس الخمس، وهذه الحواس لها حدود لاتستطيع أن تتعداها ، فمثلا : الأذن تستطيع أن تسمع في أحسن الأحوال ، الموجات الصوتية مابين 20-20.000 دورة في الثانية ، لايمكن للإنسان أن يسمع خارج تلك الحدود. والعين تستطيع أن ترى مابين 380-780 نانوميتر، والموجات التي تقع فوق أو تحت هذه الأرقام لايمكن اكتشافها بالعين المجردة .
نستخلص من هذين المثالين أن الطريقة التي تختلف بها نماذجنا عن العالم نفسه هي أننا نقوم عبر مصافينا العصبية بتشويه وإلغاء كل أو جل معطيات العالم الواقعي وهذا له تأثير في تخصيص معدل التجارب الإنسانية الممكنة بالإضافة إلى إظهار الفوارق بين ما يحدث واقعيا في البيئة المحيطة بنا وتجاربنا عن هذه البيئة . إذن فوفقا لمصافينا العصبية يمكن التمييز بين العالم وتمثيلنا للعالم .

[1] الزهراني عبد الناصر،البرمجة اللغوية العصبية،مركز التفكير الإبداعي،ج1،ط1، 2005،ص 65

1-2- المصافي الشخصية [1]:

المصافي الثانية التي تجعل من تجاربنا الشخصية تختلف عن الواقع نفسه هي المصافي الشخصية ، ونقصد بها الخبرات والتجارب الشخصية التي قمنا بها أو سمعنا بها أو رأيناها في سيروة تواجدا بمجال معين . فكل فرد له مجموعة من التجارب تشكل تاريخه الشخصي وتعتبر فريدة من نوعها ومتميزة بالنسبة له مثل البصمات . وكما أن لكل فرد بصمات مختلفة فإن لكل فرد تجارب وخبرات مختلفة . وعلى الرغم من إمكانية وجود تماثل في بعض الأوجه إلا أن هناك أخرى مختلفة ومتميزة لكل فرد هذه جميعها هي التي تجعل لكل منا عادات وتقاليد وقواعد لسلوكنا الشخصي ، وهي التي تجعلنا تستسيغ بعض الأشياء ونكره بعضها الآخر ، وهذه الإختلافات في تجاربنا تجعل لكل فرد نموذجا خاصا للعالم والواقع المجالي ، الذي يعيش فيه-المجال الحضري هنا.

1-3- المصافي الإجتماعية[2] :

تعتبر المصافي الإجتماعية النوع الآخر من المصافي التي تجعل خبراتنا عن مجالنا تختلف عن المجال نفسه . تشتمل المصافي الإجتماعية على العادات والتقاليد في المأكل والملبس والممارسات واللغة .

---

[1] الزهراني،المرجع السابق،ص66

[2] الزهراني ع.،ن.،السابق،ص67

وتعد اللغة من أهمها ، قال وورف (worf 1941) في لغات الهنود الحمر، إن اللغات التي يتحدث بها البشر تؤدي بهم إلى فهم أو تصور العالم الذي يحيط بهم بطرق مختلفة جدا، وتوصل إلى أن خصائص اللغة التي تتحدث بها جماعة معينة هي التي تحدد وسائل تفكير تلك الجماعة وتصورها المعيشي هنا الواقع المجالي الذي تعيش فيه ، أي أن وورف اعتبر التركيب اللغوي وخصائص اللغة عاملا أساسيا في الطريقة التي يتصور بها المجتمع حقائق المجال الذي يعيش فيه . وفي هذا الصدد تتساءل جوديث كرين : هل الأفراد يتصورون الأشياء بطرق مختلفة أم أن الأمر يرجع إلى أنهم يتكلمون عن الأشياء بأشكال مختلفة ؟ . وقد استشهدت بأن قبيلة الهوبي (قبيلة من الهنود الحمر) تستعمل كلمة واحدة للتعبير عن الحشرة والطائرة وقائد الطائرة ، وفي المقابل نجد أن قبائل الإسكيمو يستخدمون كلمات متعددة لأنواع الجليد المختلفة ، فهل قبائل الإيسكيمو يرون فعلا أنواع مختلفة من الثلج أكثر من غيرهم؟

يمكن القول مما سبق بأن المخزون اللغوي لجماعة معينة يعتبر مؤثرا في تمثل هذه الأخيرة لمحيطها .وبمجرد إرساء هذه الخصوصيات :الشخصية و الإجتماعية على مجال معين يتوحد الأفراد والجماعات مع تلك المجالات و يتماهون معها فيعيشون فيها و بها ومن خلالها و بالتالي يستبطنونها.

2. التراب المعيش يستبطن

الإستئراض[1] مفهوم و ظاهرة ينتج عن العلاقات التي تربط الأفراد بمجموعاتهم المجتمعية و بترابهم الممارس و يظهر عبر الإحساس بالإنتماء، و الإستيطان.يترتب عن هذا حدود ذهنية تحدد إطارات مجال – زمنية تحيلنا دلالاتها إلى سلسلة من الشفرات المجالية المجتمعية. لقد قدم بايي، مفهومين أساسيين: الاستئراض الوضعياتي و الاستئراض العلائقي[2] و قد طور ادوارد هال[3] في كتابه (the hidden dimension , Joubledy, Garden City (N4) 1966) الاستئراض الوضعياتي بمقارنته مع المجتمعات الحيوانية.لقد قارن بين أماكن الأفراد وتلك التي تدافع عنها الحيوانات. أما بالنسبة للأستئراض العلائقي، يقول بايي، أن كل صورة مجالية تنتج عن العلائق بين الأفراد ، الجماعات و المجالات،علائق تمرر عبر شفرات وقيم المجتمع. وبهذا المعنى، يستلب كل فرد داخل لعبة هذه العلاقات، ومنه فالأستئراض يحيلنا هنا إلى السلطة التي تشرع و تمرر من خلالها هذه الشفرات(قيم ،لغة...) أو ماتحدث عنه مارلو في متحفه.[4]

---

[1] - kaira H., idem p 10

[2] - Bailly A., enseigner les représentations régionales, géographie régionale, images mentales et cartes mentales, in Bailly.A et LL, représenter l’espace, idem, p 145

[3] - Bailly A., op cit , p 145

[4] -op cit, p 146

1-2- تمثل المجال عبر متحف مارلو[1]

إن فكرة تدخل الذاتية في معرفة و رؤية الأشياء، تطرح مسألة نسبية قياس و ايجاد الحلول أي ظاهرة .إن تمثلاتنا للظواهر تمثلات جزئية، لكن هذه هي الجزئية هي إنعكاس لاديولوجيا، عبر عنها مارلو بالمتحف الخيالي و هو "مجموع الصور التي لا تفتؤ الذاكرة (تذكر) تستحظرها و تعيد بنائها بمجرد الحديث عن – مكان- أو حادثة أو فعل أو مجال، أو مآثر، إنه يتكون عبر الملاحظة المباشرة-المعيش- أو غير المباشرة عن طريق المعلومات الشفهية أو المكتوبة". من خلال هذا التعريف لابد من الوقوف عند فكرة تدخل الذاتية الإنسانية في معرفة ورؤية الأشياء لاننا سنكون أمام مسألة نسبية قياس و ايجاد الحلول لأي ظاهرة إظافة إلى هذا يجب الأخد بعين الاعتبار أن صورة مكان ما ،هي جزئية و غير وفية للواقع. فعلى سبيل المثال – يقول- اندري مالرو- يمكن أن نتوفر على صورة ذهنية انطلاقا من رؤى القديس جون أو من خلال تذكر تأويل كتابي لنص ما هذا ما يجرنا للحديث عن الكشف عن التمثلات من خلال هذا المتحف كذلك.وفي نفس السياق، تحدث مالرو عن المتحف الخيالي الجمعي، le musée imaginaire collectif وعرفه بكونه مكانا لحفظ الصور المعروفة عالميا. ففي ملفات هذا المتحف الجمعي، تحدد المدن عبر هالات silhouette

[1] -Galotoy E, utiliser le musée imaginaire, Gazette guisaire ,juin 1988, p 15 in idem p24

موسكو ببرج الكريملن، مانهاتن بناطحات سحابها، اسطنبول عبر مساجدها و مناراتها[1]

الاستئراض إذن، ومن خلال ما سبق ، له علاقة بتجارب و خبرات الأفراد و خصوصا بالتعلم داخل إطار جمعي. فكل استئراض يستدعي قبل كل شيء الذاكرة الفردية réflexive الإنعكاسية ذات العلاقة بالمعيش وكذا الذاكرة الإسقاطية للمجتمع وكذا الذاكرة الجمعية. فالإستئراض النابع من ذاتية الأفراد و الجماعات ، هو غالبا تشويه للواقع [2] وله علاقة بالحس بالمشترك. فالعلاقات التي تربط الانسان والمجتمعات بالمجال، تشفر عبر الأسماء أو الاساطير أو label و نجد الفلكلور و الطقوس و القيم الإجتماعية آنعكاسا لها[3] ،ما إن اتخذ كل سلوك إنساني من هذه مجالات المعروفة مسرحا له،و تتوفرله عنها معلومات[4]

وبالتالي إدراكنا للمجال لا يتاتي إلا عبر معيش كل واحد. أي أماكن الانشطة، الإقامات التي يرتادها، محاور الطرق التي يستعملها

---

[1] - Bailly A. , André Y., idem ,p24

[2] - Antoine Bailly, enseigner les représentations régionales, géographie régionale, images mentales et cartes mentales, in Bailly.A et LL, représenter l'espace, idem, p 145

[3] - Boughali.M, la représentation de l'espace chez le marocain illetré, Anthopos, paris 1974 cité par Bailly.A enseigner les représentations régionales, géographie régionale, images mentales et cartes mentales, in Bailly.A et LL, représenter l'espace, idem, p 144

[4] - Bailly A., Béguin H., Introduction à la géographie humaine, Arnaud Colin, paris, 1982, 2001,p49

... فالمجال المدرك إذن يختلف حسب الإبتعاد أو القرب من المراكز أو الدوائر المعيشة [1] إلى حد القول، ان **الحضري لا يدرك إجمالا أبدا المدينة التي ينتقل داخلها.**[2] ما لم يستخدم خياله .

2-2- الخيال الإجتماعي

فمن بين المعاني التي اعطيت للخيال الإجتماعي تللك التي طرحها عالم الإجتماع رايت ميلز في كتابه " الخيال العلمي الإجتماعي'' و قد اعتبره" نوعية من العقل و التفكير تساعد الناس على استخدام المعلومات و تطوير التغيير و الإستنباط كي يتمكنوا من فهم و استيعاب مجمل ما يدور في العالم الخارجي – المجال- وما يحدث لهم...إنه نوعية المنطق و التفكير الضرورية للصحافيين والدارسين و الفنانيين و العامة و العلماء.. وهذا الخيال هو الذي يمكن صاحبه من إدراك الكيفية التي يصبح بها وعي الناس المعرفي في تجاربهم و حياتهم اليومية..."[3] و حتى بمجالهم المعيش .

وهكذا يتجسد دور الخيال في ضوء ما طرحه رايت ملير في الفهم و الإدراك و الاستيعاب لتجارب الفرد و تجارب الاخرين الذاتية و المجالية- و صولا إلى وعي حقيقي جديد.

---

[1] - Bailly A., Béguin ., op cit, p175

[2] -

[3] - رايت ميلز ، الخيال العلمي الاجتماعي (ترجمة عبد الباسط عبد المعطي و عادل الهواري، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية 1976 شاكر عبد الحميد ،الخيال من الكهف إلى الواقع الإفتراضي، سلسلم عالم المعرفة العدد 360 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب ، الكويت 2009 ص 58

و هناك أيضا من تحدث مما شماه الخيال الإجتماعي العام ويقصد به كيف تسهم المفاهيم و الصور و القصص و الرموز و الممارسات الخاصة بثقافة معينة في تكوين متخيل خاص به. وكيف أن المجال الخيالي الإجتماعي الذي يسكن فيه المواطنون يمكن أن يكون مكانا للخطاب السياسي و الجدل بشأن موضوعات نثل :المواطنة -صراع الحضارات- صورة الذات و الأخر[1] و صورة المجال المعيش و تمثله كذلك من خلال المتخيل الثقافي .

3-2- المتخيل الثقافي

هو الطريقة التي ترى من خلالها ثقافة ما العالم و ترى نفسها أيضا داخل هذا العالم [2] فالإنسان -يقول ماهر الشريف – ليس حيوانا عاقلا- و إنما كائن متخيل" و البناءات أو التكوينات السياسية والحقوقية و القانونية و الدينية و الاخلاقية – وحتى المجالية موضوع دراستها- ليست نتاجا للعقل بل هي إبداعات للمخيلة. حتى يمكن القول أن العقل نفسه هو إبداع المخيلة، و يدخل ضمن المتخيل الإجتماعي تللك الصورة الذهنية التي تكونها شعوب معينة عن نفسها و عن شعوب أخرى كتلك الصورة التي يكونها الشرق عن الغرب أو الغرب عن

[1]- شاكر عبد الحميد ،الخيال من الكهف إلى الواقع الإفتراضي، المرجع السابق ص 58
[2]- المرجع السابق ص 60

الشرق ، فيما يسمى المتخيل الشرقي الذي ينظر إلى الشرق أنه غارق في الخرافات و المنع و ما شابه ذلك.[1]

3. المجالي وتكوين الهوية

إن المجال من عوامل التنشئة. فالفرد ،يقول كوستاف فيشر – هو مركز النشاط و هذا الأخير ليس مغلقا على ذاته بل هو في علاقة بعوامل أخرى. فالمجال المعيش يمثل للأفراد أساسا للتعلم، تعلم العالم المحيط به. فالفرد من خلال هذه العلاقة إذن يضع بصمته و يخلق اطار للفعل على اشياء في محيطه في الحين نفسه الذي تفعل عليه هذه الاشياء. فالمجال المعيش، من هنا ، يخلق للفرد مركزية ترابية تدخل في تباين مع العالم تتمظهر هذه المركزية من هلال المعنى الذي تبنيه الثنائية أنا – الآخرين هذه الثنائية حسب فيشر تتمظهر من خلال 4 مستويات:

- المستوى الأول: الفروقات بين الأمكنة: بين المكان الذي أعيش فيه مقابل المكان الذي يعيش فيه الىخرون و بالتالي يتولد التقابل بينهم و أنا : " مقابل أنا"
- المستوى الثاني: الأمكنة الفارقية: إن الأمكنة التي يعيش فيها الآخرون هي بدورها فارقية، فهناك تراب من معي و تراب

1- ماهر الشريف :مقدمة المترجم ، كاستوريلديس، كورنيليوس، تأسيس المجتمع تخيليا ، دمشق ، دار المدى 2003 ،ص7

الآخرين. وقد ضرب فيشر مثالا لذلك من خلال النموذج الفارقي للأمكنة : " هناك تراب من معي في نفس العمارة و تراب الآخرين الذين يعيشون في العمارة المجاورة"

- المستوى الثالث :حين الحديث عن تراب ": مقابل المستوى الأول و الثاني تبدأ الهوية المجالية الجمعية بالظهور في هذا المستوى حين الحديث مثلا عن تراب الحي مقابل تراب باقي المدينة.
- المستوى الرابع : مدينتي. سيقابل تراب المدينة ، ككل أنتمي إليه مع الخارج

خاتمة

إن جدلية داخلي – خارجي تتماشى و الثنائية قريب – بعيد : الداخل يعني هنا الخارج ، يعني هناك و كل ما يحدث " هناك" لا يهمني بنفس القدر الذي يهمني فيه ما يحدث هنا. إذن يبنى المجال تدريجيا إلى مجموعة من التقابلات المظهرة لقيمة التراب كمعيش. هذه القيمة تستدعي من الباحث، أطرا نظرية للكشف عنها. فيجد نفسه أمام عدة اتجاهات ونظريات تقارب الموضوع وتختلف حسب زوايا الرؤيا. لكن المشترك بينها هو البدء من أسفل.

حول نظريات واتجاهات دراسة التمثلات المجالية: حينما يتسع النقاش

مقدمة

يمكن دراسة العلائق بين المجال والتمثلات الذهنية ، حسب بايي، من خلال تحليل السيرورات المعرفية (cognitifs) التي تعالج آليات امتلاك وتمثل الموضوعات والأشياء وتحولها إلى معارف صالحة لأحكامنا وقراراتنا .لكن هذه الدراسة ، يؤثر عليها، كليا أو نسبيا، "التقمص النظري" للباحث. فالتيار الذي بتبناه هذا الأخير لا يمكن إلا أن يؤثر في رؤيته للنتائج .وسنعرض في هذه الفقرة أهم التيارات الأساس التي قاربت موضوع المجال من حيث تمثله .وسنعتمد أساسا على إحدى الدراسات التركيبية المهمة لبايي في هذا الموضوع[1] . فإذا كان التمثل (représentation) يقوم سواء على استحضار الموضوعات في حالة غيابها أو على استكمال المعرفة الإدراكية عبر الإحالة إلى موضوعات أخرى لم تدرك ، عندما يضاعف إدراكها في حضورها .[2]

[1] أنطوان بايي، " المجال والتمثلات الذهنية"، الزاهي.ف.، ترجمة، البحث العلمي،مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية،ملف المجال:التجليات والإستعمالات،جامعة محمد الخامس،العدد43-44 ،1997،ص ص، 71-80

[2] أنطوان بايي، " المجال والتمثلات الذهنية" المرجع السابق،ص71

لقد وفر لنا بايي تركيبا للتيارات الأساسية في البحث حول هذه التمثلات الذهنية للمجال . وذلك بدءا من التذكير بأصول النزعة البيئية مرورا بالتقويمات الذاتية للجغرافية الجهوية وانتهاء بالمقاربة الفينومينولوجية للجغرافية الإنسانية . هذا التصميم يتماشى مع تصور ثلاثي للعلاقات بين الإنسان والمجال : فالنظرة الأولى تطرح كفرضية مركزية أن الناس يستجيبون بشكل منسجم إزاء واقع مادي معين بشكل جيد . فالموضوع يثير الذات التي تستجيب بدورها انطلاقا من حالة سواء (normalité) متوقعة . ويعتبر التصور الثاني تأثير المجال كشكل من أشكال حساسيتنا : فالفرد المدرك والمفكر والفاعل هو الذي يقوم بتمثل المجال الذي سوف يعمل على تغييره بممارساته ، وذلك عبر قنوات تصفية filtres) (اجتماعية وثقافية عديدة . أما النظرة الثالثة ، وهي اكثر مثالية ، فإنها تكشف عن مستويات وعينا وعن الظواهر اللاوعية عبر تصور فينومينولوجي للعالم . إنها ثلاث طرق بالغة التباين لكنها مع ذلك توظف من قبل العلوم الاجتماعية الأساسية[1] ،كما يبين الجدول أدناه.

---

[1] المرجع السابق،ص72

1. تمثلات المجال من خلال النزعة البيئية للتيار الأنكلوساكسوني

تعتبرالداروينية وأعمال الجغرافية الحتمية (déterministe) أصولا للنزعة البيئية . فحسب هذا التصور يمكن الإمساك بمكونات سير المجتمع عبر تحليل الوحدات الجهوية والوطنية التي تتبدى بفضل سلسلة من المؤشرات الفيزيائية (من مناخ وتضاريس وغطاء نباتي ... الخ) . فعلى غرار العلوم الفيزيائية وبالتناظر مع علم البيئة النباتي يغدو بالإمكان فهم التنظيم ، (أو الإختلال) الاجتماعي باعتباره نتاجا للمحيط البيئي[1]. ويقول روبرت بارك (R.PARK) في هذا الصدد بأن"المدينة أنتجتها الطبيعة، وبالتحديد أنتجتها الطبيعة البشرية"[2] وفي مقابل هذه الفكرة ، تقدم عبارة روبرت بارك " يولد السكن المجموعة (...) باعتبارها نتاجا لمجال محدد للمدنية " المعنى الذي يترابط به التقسيم المجالي والسكن والنظام الاجتماعي أعمق ارتباط في وحدة متآلفة بين المجال والمجتمع وهي التي تفسر الاهتمامات المشتركة للإنسان

[1] المرجع السابق،ص73

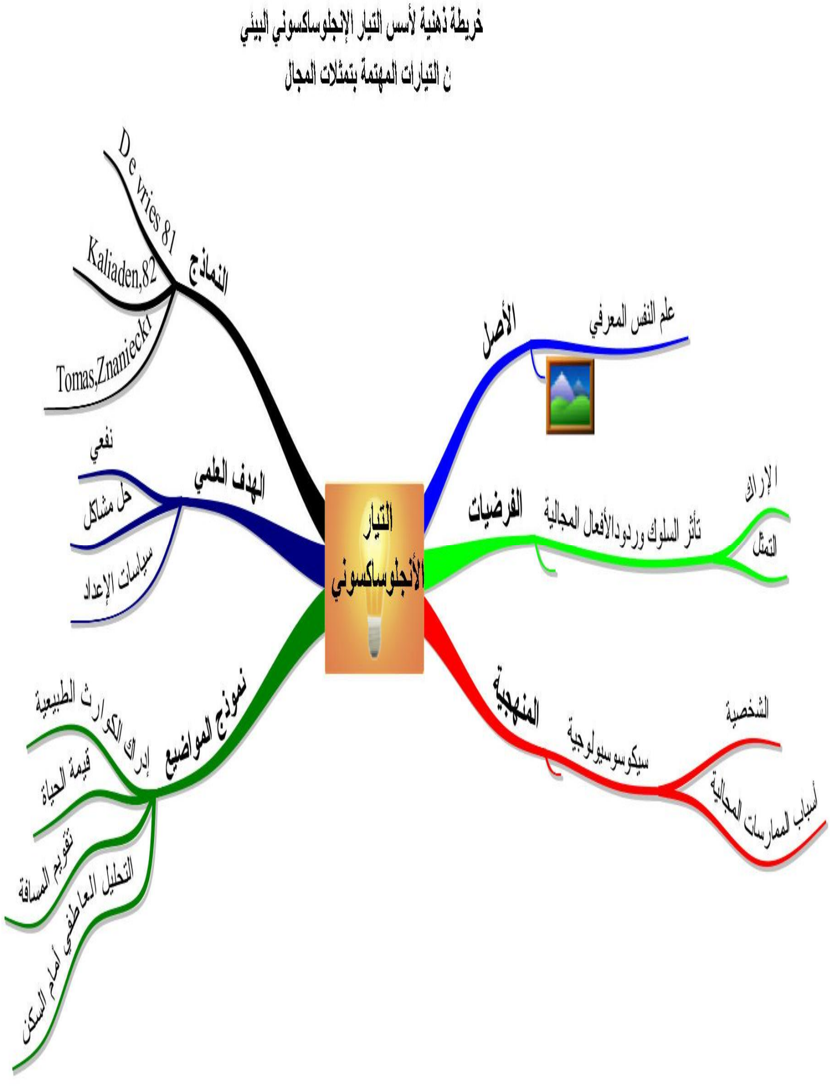
[2] Grafmeyer, Joseph, l’école de Chicago, Les éditions du champ urbain, ed3 CRU, 2004,p23

باعتباره ساكنا ، ونظام قيمه والتعدد الثقافي للمشاهد الطبيعية الحضرية.[1]

لقد استطاع كفين لانش أن يؤلف بين الأعمال ذات المنزع المقامي (situationniste) ، التي تتخذ موضوعا لها العلاقات بين السلوكات الإنسانية والمجال المعيش ، فقد اقترح هذا المؤلف ، انطلاقا من التركيز على دور بعض العناصر الخارجية وعلى الخصائص الهندسية التي يستعملها الإنسان في ممارساته (كنقط الاستدلال ، والحدود ، والعقد) ، من إقامة جدول صالح لقراءة الوسط الحضري ؛ وهو جدول يمكن من فهم الطريقة التي يستوعب بها كل فرد المدينة . هكذا نقف على أصل ماسمي بالموقف السلوكي (behavior setting) أي دراسة المجال باعتباره منطقة يتم تمثلها وممارستها من قبل مجموعة بشرية معينة .[2] مبحث متخصص في التفاعلات بين الفرد والمجال يرمي بالأساس إلى تطبيق أبحاثه على التخطيط الهندسي والحضري عبر المؤشرات المعيارية (normatifs).[3]

[1] أنطوان بـايي،السابق،ص 73
[2] نفسه،ص 73
[3] نفسه،ص 73

خريطة ذهنية1 : التيار الأنجلوساكسوني والتمثلات



المؤشرات المعيارية[1]

تنعكس قيمة المجال، من خلال النظر إلى المؤشرات المعيارية . وبما أن الأبحاث المتعلقة بتلك المؤشرات تنهض على الاعتقاد في العقلانية العلمية ،حسب بايي ، فإنها تظل مطبوعة بالإيديولوجيا الكمية . تهتم أغلب الأبحاث بموضوعات خاصة متصلة بجودة المحيط ، كالأمراض والإجرام والمنافذ والسكن . وقد قام توماس سارينان، بجرد تركيبي للمجهودات العالمية في هذا المضمار : كتحليل الاستجابات العاطفية للمحيط العمراني ، غالبا لأهداف معمارية ؛ ودراسة الرمزية المعمارية وآثار الكثافة العمرانية الحضرية على السلوك ... بل إن نيوزلاندة مثلا ، قد اقترحت أحيانا الإدماج المنهجي لهذه الدراسات المحيطية في عمليات التخطيط العمراني والحضري . فغالبا ماتقرن بهذه الدراسات، دراسات الباثولوجيا الاجتماعية . لنذكر بأن ويليام بانج) W.Bunge (قد بين بخصوص هذا الموضوع وبشكل واضح ، أن الحد الأقصى للحياة لدى الأطفال رهين بمجال سكناهم . فالطفل الذي ولد وسط مدينة ديتروا بالولايات المتحدة يتجاوز مدى حياته عمر طفل ولد في غوبانا . ويساهم في هذه الوضعية تلوث الهواء ومخاطر الحوادث ، وارتفاع الإجرام ، وتدني مستوى الخدمات الصحية ونتائج الفقر.

---

[1] المرجع السابق،ص74-76

ثمة موضوع آخر يحظى بالاهتمام بخصوص جودة وقيمة المحيط البيئي. ويتعلق بالقابلية المجالية لتقبل الخدمات والبنيات التحتية العمومية . فارتياد المدارس وتجربة المدرسين ، والتجهيزات المدرسية وتوفر المجال على نفس المعايير المتعلقة بالخدمات الصحية وحماية الشرطة ، كلها عناصر تمكن من الكشف عن تباينات كبرى بين غيتوهات المدن الأمريكية (شيكاغو وفيلادليفيا) والقطاعات الموسرة . وهذا مايتنتج عنه دراسيا ارتفاع نسبة التغيب وسط التلاميذ وتدني النتائج وانهيار النظام التربوي .[1]

وقد عرف هـذا النـــوع مـــن الأبحـــاث ازدهــــاره مـــع ظهور المنهج الإرشـــــادي (paradigme) جودة الحياة) (qualité de la vie ، الذي بلورته الأبحاث حول ظاهرة اللاتكافؤ في المحيطات الجهوية . فعبر مناولة المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية (الشغل ، السكن ، الخدمات ، امتلاك الخبرات المادية ، وسائل الرفاه ، الصحة ، التربية ...) يحاول الباحثون تقييم تغيرات جودة الحياة في المجال

لكن السؤال الذي يطرح نفسه يكمن في:

أ- مدى مطابقة نفس المعايير لمجالات مختلفة ؟

ب - هل للمتواليات الإحصائية التي تستقى من المعطيات الموجودة على المستوى الوطني كامل إلى المرونة لتنطبق دائما

---

[1] السابق،ص 75

بصورة دقيقة مع المشكلات المطروحة خاصة إذا تعلق الأمر بمقياس أكبر كالدرب أو الإقامة أو الحي؟

وتقديما لعناصر الجواب عن هذه الأسئلة ،يقول بايي بأن التوليفات الإحصائية ومناهج المعالجة تختلف حسب المؤلفين ما يصعب معه القبول ، على المستوى النظري، بأن تكون جودة مجال ما أفضل من مجال آخر . إن المراكمة العددية ، حتى حين نحولها إلى إشارة قابلة للتداول ، لتطوير قياسها ، لاتعكس بشكل جيد التقويمات الإنسانية، في نظر بايي ، فنحصل في الأخير على حالة المحيط البيئي ، لكن من دون معلومات كافية عن مدى رضى السكان عن هذه الحالة .

2. المقاربة الجهوية والتقويمات الذاتية للمجال[1]

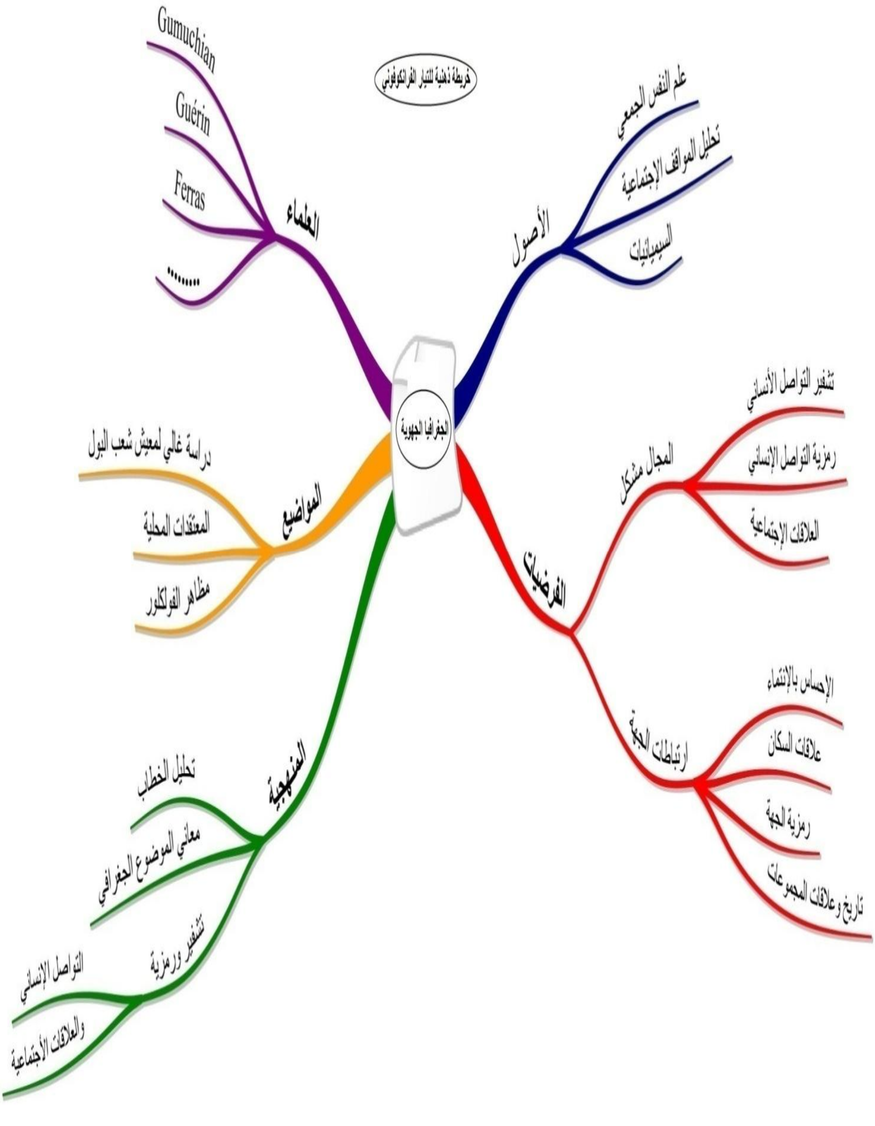
في الوقت الذي تنامت فيه البحوث ذات التوجه البيئوي في البلدان الأنجلوساكسونية كان العديد من الجغرافيين الفرنكفونيين، المنتمين للتقليد الجغرافي الجهوي ، يخصصون فصولا بكاملها لتحليل وتأويل معيش السكان . يتعلق الأمر، على العموم بدراسات مخصصة للمجتمعات الصغيرة، يحللون فيها علاقة السكان بالانتماء الجهوي ونفسيتهم الجماعية وسلوكاتهم الاجتماعية فتكونت، في إطار الجغرافية الثقافية ، منهجية جغرافية ذاتية مضمرة وسمت المقاربة الجهوية ، كما تجسد ذلك أعمال جان

[1]المرجع السابق،ص76-78

غالي (Jean Galai) عن المجال المعيش لشعب البول (Peul) في المناطق السودانية السواحلية . فقد دفعت معرفة المؤلف الجيدة باللغة البولية إلى الاهتمام بتنظيم الوحدات الترابية الأساسية. انطلاقا من ذلك، يطرح غالي مشكلة أساسية، غالبا ما تم تجاهلها في الجغرافية الجهوية ، بل حتى في الجغرافية الفاعلة ؛ كيف يشتغل الباحث على وسطه الخاص إن لم يكن ذلك عبر ذاتيته ؟

وهكذا، منح بعض الجغرافيين الجهويين الفرنسيين ضمنيا مكانة معينة لتمثلات المجال وذلك في معرض بحثهم عما يشد الإنسان إلى الأرض . وبذلك فقد فتحوا الباب مشرعا أمام تحليلات الذاتية (subjectivité) الفردية والاجتماعية . لكن كان من اللازم انتظار أعمال أرمان فريمون (Armand Frémont) لكي يتم أخذ الجوانب العاطفية بعين الاعتبار وكي تنزاح الجغرافية الجهوية عن الممكنية الضمنية . من ثمة أصبح الانتماء المجالي يعتبر نتاجا للعلاقات القائمة بين الناس والمجتمعات.

خريطة ذهنية2 : أسس التيار الفرانكوفوني والتمثلات



3- الفينومولوجيا والمقاربة الإنسانية للمجال

3-1 الأسس النظرية :

فعلى عكس المقاربات المعيارية يتم هنا التركيز على علاقة ذات –محيط . هذه الطريقة في التفكير والتحليل تحيل إلى الفينومينولوجيا ، باعتبارها فلسفة علاقة الكائن بالعالم المتمركزة حول التجربة والوعي ومقصدية (intentionnalité) الذات . ففينولوجيا ميرلوبونتي (Merleau –Ponty) التي حللها بطريقة رائعة دافيد سيمون (D.Seamon) تركز على بنية الدلالات لإدراك الواقع المعقول للتجربة . من ثمة فالاستجابات اتجاه المحيط لاتوجد في ذاتها وإنما بالعلاقة مع هدف معين . إن الدخول في حقل علاقات الذات ، بالنسبة للباحث ، هي نقطة الانطلاق الضرورية للفهم ، ذلك أن عالم الذات لايتمايز عن المحيط .

فكل مؤشر مطالب بالكشف عن النسيج الذاتي المستبطن الذي تنطلق منه كل السلوكات . والمجال يقدم نفسه لمن يدرسه سواء بمناهج الوصف والملاحظة أو بمناهج التأويل . إنها مناهج جد هامة لأنها تمكن من الإمساك بعلاقة التماهي ذات – مجال .

إن الإمساك بمعنى المجال ، بالنسبة لمن يقبل بهذه الفرضيات الفلسفية ، يعني الكشف عن تجارب المعيش عبر المعطيات الفردية (المتناثرة) والذاتية (غير الموضوعية) . هكذا تكشف التمثلات الذهنية عن أنساق التقويمات (valorisations) والإشاعات التي تفسر تعدد العوالم المجتمعية والحساسية تجاه الأمكنة سواء كانت مساكن أو فضاءات أوسع .

2-3 الجغرافيـــة الإنسانويـــة والمجـــال[1]

منذ نهاية السبيعنات، عوض مصطلح الإنسانوية أو الإنسانوية الجديدة تدريجيا مصطلح الفينومينولوجيا . لوصف الدراسات التي تضع في علاقة الإنسان مع جسده وحساسيته وتجربته عن المجال وثقافته وإدراكه للعالم المعيش . هذا الهاجس الإنسانوي الذي يقدم عنه دوغلاس بوكوك (D. Pocok) تركيبا ، يركز على تلك الجدلية الأبدية ذات – موضوع ، طوية – برانية ، خاصة عبر قراءة الأعمال الأدبية . فالبيت والقرية هما الأمكنة التي يظهر فيها بشكل جيد التعبير عن المعيش المستبطن . لذلك تبتعد التفسيرات في الغالب عن الفينومينولوجيا لتنفتح على سيكولوجيا الأفراد والجماعات. يقدم كتاب إدوارد ريلف (E.Relph) مثلا تأويلا لعالم التجربة عبر هوية ودلالة الأمكنة ، فمن الداخل يمكن

---

[1] السابق،ص ص79-80

لمحتل المكان الإمساك بمعنى هذا الأخير ، هذه الجوانية) (intériorité التي تتمظهر في النوايا ومعرفة الغير التي تجعل هذا المعيش أصيلا.

وتكشف دراسة بايي (Bailly) في كل الأشكال الأدبية المحللة ، اهتمامات وموضوعات مشتركة بين المؤلفين، هكذا يظهر هم استعادة السلم الجغرافي (الرؤية على خط فوقي مستقيم أو التجوال) ، والرغبة في امتلاك نقط استدلال رمزية وشخصية وتقديم خطاطات منطقية للاشتغال . فإدراك المجال يتم أساسا عبر المفارقات التي يركز عليها المؤلف : الجهة ، المدينة ، مرايا المجتمع ، ستتحول إلى حلم وكابوس في نفس الوقت ... ويصبح المجال حاملا لعدد وافر من الدلالات التي تخضع للتغيير والإغناء من طرف التجربة الإنسانية . هكذا يمكننا الحديث عن مدلول مجالي كمتغير تبعا للمعيش الفردي والصور الجماعية .

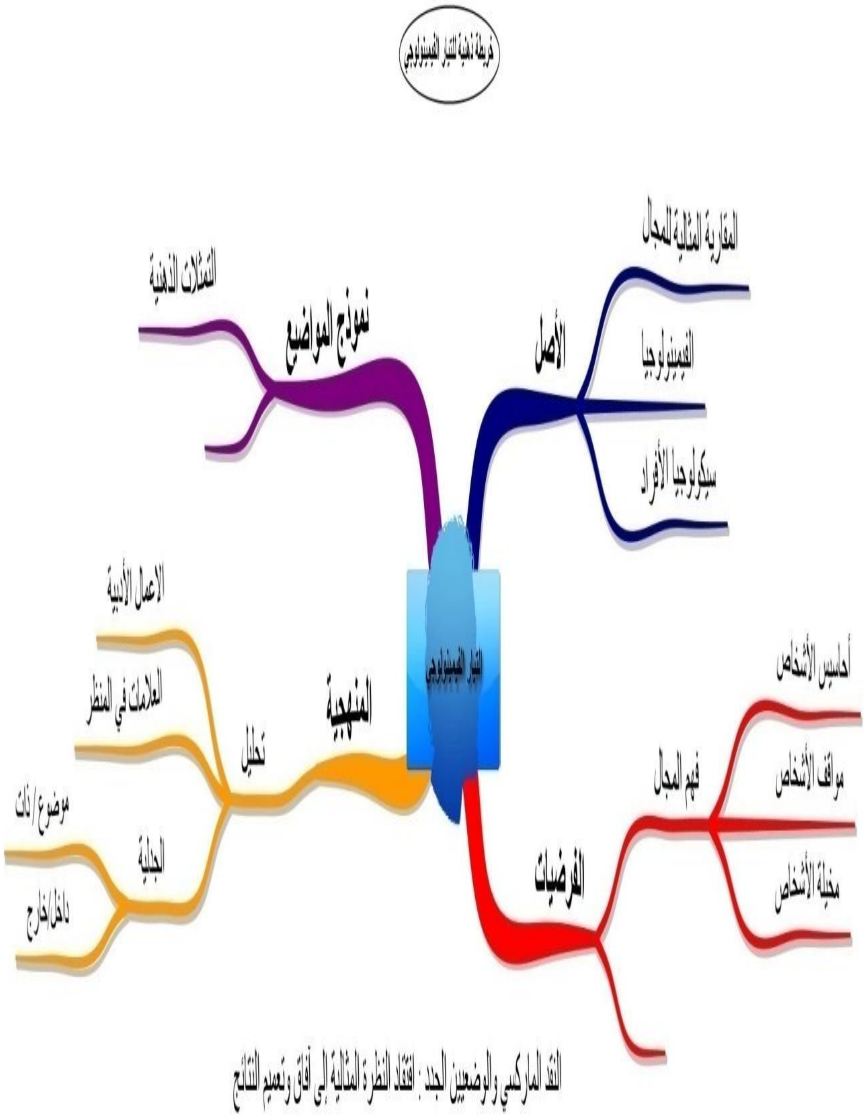
بإمكاننا في نهاية هذه الدراسة التركيبية ملاحظة تعدد وغنى وجهات النظر التي تبلورت في تحليل التمثلات الذهنية للمجال . فالتعدد الدلالي للمجالات المعيشة وتناضد التمثلات والممارسات ، يجعل هذا التعدد ضروريا . والنتائج المحصل عليها من طرف التيارات الثلاثة الأساسية تفرض نفسها في هذا الميدان ، فهي تمكن سواء في المستوى الفردي أو الاجتماعي ، من فهم

أفضل للإيديولوجيات الترابية ، والنزاعات المجالية وإيحاءاتها الرمزية . وعلينا ألا ننسى في نهاية المطاف ، أن العلوم الاجتماعية تتقدم بفضل هذه التصورات المختلفة والمتباينة أحيانا ، وبفضل النقاشات والبحوث الجديدة التي تثيرها . وهذا مايجسده جليا تاريخ تطور الأفكار المتعلقة بالتمثلات الذهنية للمجال .[1]

---

[1]أنطوان بايي، " المجال والتمثلات الذهنية"المرجع السابق ص88

خريطة ذهنية3 : التيار الفيمينولوجي وتمثلات المجال



خاتمة

إن جعل مفهوم التمثلات في قلب الأبحاث الجغرافية بل وفي شقها التطبيقي إعداد التراب يضفي المشروعية العملية على اختيار هدف الدراسة. أي تفكيرنا في إطار المنطق الداخلي للبحث العملي Recherche Action لكورت لووين Kurt lewin . فمؤسسة البحث العملي مبنية على شقين: شق البحث وشق العمل بالبحث .أي تزاوج بين أبحاث الأكاديمي من جهة وبين سياسة المعد مثلا من جهة ثانية . إنه التموقع في ضفة منطق الإئتلاف والتكامل. فتكمن أهمية تبنينا لطرح جغرافيا التمثلات في الغنى النظري الذي قارب الموضوع ابتداء من التيار الأنجلوسكسوني البيئي إلى التيار الفيمنولوجي عبر الجغرافيا الفرانكوفونية الجهوية ثم النقدية .غني يقدم لنا مجموع منظارات تمكننا من مقاربات متنوعة حسب زاوية رؤيا كل تيار زوايا رؤية تمكن من طرح تساؤلات حول دور هذه التمثلات في فهم المجال، كيف يمكن المساهمة في فهم أعمق لمجالاتنا؟كيف يتصرف وكيف يسلك ،كيف يعيش السكان المجال؟؟؟ وكيف سيمككنا هذا الفهم من إعداد هذا الأخير؟ وماهو المنهج إلى ذلك؟

VI نماذج الأبحاث الميدانية

استهل عالم الجغرافيا Peter Gould ورقة بحثه عن الخرائط الذهنية بهذا السؤال هل يمكن مزج الجغرافيا بعلم النفس؟. وكان الجواب عنه بالإيجاب قطعا. ويؤكد روجر داونز (Downs Roger)،عالم جغرافيا، و داوود ستي (Stea David)[1]،عالم نفس،في دراسة حول تمثل الفرد لمجاله الجغرافي، والتوصل إلى طبيعة العالم الجغرافي كما تراه عين العقل، أي تمثل الفرد للمجال والمكان، للمسافة والاتجاه ،على أساس ما يراه يوجه عالمه ويجيب عن الأماكن التي ينتقي انطلاقا من تجربته المباشرة.

خلال سنوات الأخيرة، اهتمت مجموعة من الدراسات بالبحث عن معرفة السلوك الإنساني في علاقة مع مجاله الخارجي. ويهتم المصممون والمخططون أكثر فاكثر بمعرفة الأنشطة الإنسانية التي من المفروض أن يتسع لها المحيط الخارجي[2].ويتفحص علماء السلوك والاجتماع، مدى إدراك الإنسان للمجال مع الأخذ بعين الاعتبار لهذه الأخيرة أوما سماه (Kates 1970) بالمجال في الذهن[3] ، أو بمعنى آخر كل ما يدرك، يعتقد، يشعر الإنسان ببيئته، سواء كان شمسا،

[1] Joachim F.,W., "image and environnement :cognitive mapping and spatial behavior "byDowns R.,Stea D.,American association for the advancement of science, science, new series, vol.184, n.4136, 1974, pp.557-558
[2]Paris 1963, Manning 1965, Langdonl 1960, Sommern 1969
[3] Francescato D.,Mebane W., "How citizens view two great cities",in Downs R.,M., Stea D., cognitive mapping and spatial behavior, Chocago aldin Pub,1973-2005, pp 131-147

مطرا،إنسانا أو أشياء.يصف Kates مواضيع بحث من خلال نمو لغة الأدب في إدراك الإنسان لبيئته:

أ-استعمال الوهم لاستنتاج الحقيقة المتمثلة في الملاحظة البصرية؛

ب-بحث في صورة المدينة؛

إن تقديم بعض هذه الدراسات في هذا المقام ،لايعني تعميم النتائج ،بل الهدف منها هو تقديم و الإستفادة من المسالك المنهجية الذي سلكوها وكذا بعض النتائج التي يمكن أن تقارن بنتائج هذا البحث . سنقدم لكل دراسة التساؤلات التي انطلقوا منها والمنهجية التي سلكتها والنتائج التي توصلت إليها .وقد تم اختيارنا لأربعة دراسات اعتمدنا منهجها: دراسة لينش ودراسة فرانسيسكاتو ودراسة بايي ودراسة جودليه وأخير العمل الضخم حول تصورات البحر الأبيض المتوسط .

1-دراسة كيفن لينش (Lynch kevin) حول الصورة للمدينة[1]

عمل كيفن لينش (1960) مهندس معماري ومصمم مدن،على إنجاح عمل تمهيدي قام من خلاله بطرح مجموعة من الأسئلة على سكان بوسطن، لوس أنجلس و نيوجيرزي . وقد استعمل الخرائط

[1] Lynch K.,L’image de la cité,Vénard M.,F., Vénard J.,L.,traduction,Bordas,Paris, 1960-1976

الذهنية كأداة للتوصل إلى صور هذه المدن في ذهن السكان .وقد توصل كيفن لينش إلى:

وقد اعتمد في استخراج مكونات المدينة على ما أسماه قابلية المكونات للتصور أي إثارة مكونات المدينة للساكنة واستدعاء مشاركة الحواس لتكوين الصورة الذهنية عنها وأراد الجواب حول كيفية تمثل الناس لمدنهم، شوارعها، أزقتها، وآثارها (تأثير المدينة على ساكنتها).وقام لينش بدراسة حول كيفية تمثل بعض ساكنة Boston، Jersey city، وLos Angeles . فنيوجيرزي: أظهر الطرح أن الناس ليس لهم نظرة مفهومة عن المدينة. أشاروا لى أن ميدنتهم ليست كلا منسجما، ولكن مجموعة من القرى والتجمعات السكنية.

أما بوسطن : فقد بين المبحوثون أن مدينتهم تحتوي على العديد من الأزقة المميزة وعلى الأزقة الملتوية والمتشعبة. لكن مدينة متسخة، عتيقة، تاريخية، مزدحمة. في حين، أظهرت الدراسة حول لوس أنجلس، أن المدينة واسعة، شاسعة (ينقصها شكل موحد)، هي دون مراكز.و يتضح أنه صعب الحصول على تمثل المدينة كونها "كل" Whole. لكن الصورة الموحدة بين الآراء حولها هي أنها مدينة في غاية الاتساع وتحمل إيحاءات مرضية عن المجال المحيط بالإقامات السكنية.

لقد لاحظ لينش، أن دراسته منحصرة على أثر الأشياء المادية الملموسة. إلا أن هناك مؤثرات أخرى تشكل الصورة الذهنية؛ كالمعنى الاجتماعي للمجال، وظائفه، تاريخه، وحتى اسمه. أن صورة المدينة لدى الساكنة تكونت من 5مكونات :1-الطرقات أو الممرات.2-الحدود3-المعالم4-المناطق5-الأحياء.

إلا أن لكل فئة مختلفة العمر حاجيات بيئية مختلفة، بما أنه يعتقد أن هناك 5 مراحل لكينونة المدينة: 1-الطفولة 2- المراهقة 3-البلوغ (وسط المحيط العائلي) 4-البلوغ (والتحرر من البيت والعائلة) 5-الكبر. فموضوع الصورة الذهنية هي الذي تعطي المدينة هويتها، بنيتها ثم معناها.

فإذا اعتمد لينش على الصورة الذهنية للوصول إلى هذه النتائج ، فقد كانت منهجيته تموذجا يحتدى به من طرف الباحثين الذين جاؤوا بعده كما هو الشأن بالنسبة لفرانسيسكاتو وميبان.

2- دراسة فرانسيسكاتو و ميبان حول روما وميلانو[1]

كيف ينظر المواطنون إلى المدينتين كبيرتين روما وميلانو Rome وMilan؟ .لقد اعتمد الباحثان على دراسة لينش و كاتز (Kates) قصد تفحص: الصور التي يحملها المواطنون عن مدنهم؛و مواقفهم اتجاه مدنهم ،والعلاقات بين مختلف هذه الصور والمواقف. ضرورة ربط السلوك بالمحيط، علاقة تأثير وتأثر. وقد قام الباحثان ببحث عن مدينتي روما وميلانو_هدفهما من خلاله التركيزعلى ما يلي:

- إظهار الاختلافات المتجلية بين تركيبة الصورة بين روما وميلانو
- إذا ما كان هناك اختلافات بين صورة الخرائط المخططة من طرف مختلف الأجناس والأعمار والمجموعات السكانية وذلك مع كلتا المدينتين.
- إذا ما كانت الفئات الأقل ثقافة والأكبر سنا لديهم قدرة أقل على استعمال الأداة المطلوبة لتصميم المهارة. تم تسجيل كل من العمر والجنس والكثافة السكانية والمستوى الثقافي ثم العمل. ودام الحوار مع كل شخص لمدة 30 دقيقة، سواء داخل المنتزهات، المسارح، الطرقات، والمحلات التجارية. وكان الجميع مهتما.

[1][Francescato D.,Mebane W., How citizens view two great cities,in Downs R.,M., Stea D., cognitive mapping and spatial behavior, Chocago aldin Pub,1973-2005, pp 131-147

طرحت الأسئلة كالآتي:

1-من فضلك، أغلق عيناك وفكر في اسم المدينة. ماذا ترى؟

2-تخيل أنك ستغادر هذه المدينة، أذكر 5 أشياء ستبقى راسخة في ذهنك.

3- مت ـهم شيء لك في المدينة؟

4- ما مقدار حيك لها: كثيرا-نصف نصف-لا تحبها- لا تحبها بصفة نهائبة. من تحب في هذه المدينة؟

5-ارسم خريطة لهذه المدينة

6-أذكر مختلف مناطق هذه المدينة

7-ماذا تحب أن تعرف عن هذه المدينة؟

بعد العمل على تحليل النتائج، استخلصا أن استعمال رسم الخريطة كأداة لجمع المعلومات ينتج ليس بالنجاعة الطلوبة بجانب الفئات الأقل مستوى دراسي والمسنين. وقد قاما بمقارنة عامة بين ميلانو وروما. فالأولى، مدينة شاسعة، منبسطة وصناعية. والثانية، مركز ثقافي إداري: هي مدينة كثيرة التلال تخترقها طريق غير مستوية ونهر يسمى نهر Tiber.

وقد رسم 639 من سكان ميلانو نقطة مركزية لهذه المدينة وسط خرائطهم (92% من السكان هذه النقطة هي Duomo). أما بالنسبة لروما، يعتبر القلة أن نهر Tiber هو النقطة المركزية.

من خلال الملاحظة البصرية لخريطتي ميلانوو رومت لاحظا أن الأولى متموضعة حول طرقات رئيسية، فيما أن الثانية، تتموضع حول مجموعة من المعالم الكبرى، مما جعلها أغنى وأسمى ثقافيا.

نلاحظ الكيفية التي يمر الباحثون عبرها من الإحصائيات إلى التحليل الكيفي .وهذا ما سنجده مع في بحثهما حول الإختيارات المجالية و السلوك المجالي:محاولات جغرافية حول تحليل الأفضليات prefernces و الإدراكات .

3- دراسة ريجينال وكولد حول المجالية و السلوك المجالي: محاولات جغرافية حول تحليل الأفضليات المجالية

كان هدف كولد وريجينال هو استخلاص عموميات حول الكيفية التي يعمل بها العقل البشري كمصفاة للمحيط الفيزيائي؛ ليستوحي منه نماذج أنشطة ذات معاني.المكان / التصور والمادي / المعنوي. ويدور السؤال المطروح حول كيفية انتقاء واستعمال المعلومات المكانية من المجال الخارجي.

وقد أجمع الباحثان على أنهم يعالجون عوامل مكانية جزئية تخص قياس المعنى. هذا الأخير، فيتم استخراجه كنتيجة لدراسة وتحليل إحصائيين دقيقين وذكيين. إلا أن النتائج المحصل عليها من تحليل مجموعة من المعطيات والوضعيات المختلفة ليست عامة وموحدة.

حيث طرح سؤال: هل السلوك المكاني ينعزل عن الأنواع الأخرى من السلوكات وعن المقومات الشخصية، الاجتماعية والثقافية؟ سؤال معلق وجدنا بعض عناصر إجابته مع روجر هارد من حيث الحمولة الثقافية التي يمكن للراشد إن يتعلمها من الأطفال حسب هارد.

4- دراسة روجر هارد(Roger Hard) حول تجربة الأطفال المكانية [1]

بدأ روجيه هارد بسؤال : كيف يتمكن الأطفال من معرفة ذلك الجزء الصغير من المجال الأرضي والذي الذي يترعرع فيه؟ كيف تنمو مع الطفل تخوفات، أحاسيس، أماكن الملاذ وأماكن الزيارات الدائمة من المكان الذي يعيش فيه؟ كيف ولماذا يصبح المجال ترابا؟

يرى Hard أن العالم يتم اكتشافه وبناؤه بطريقة إرادية ونشيطة ليس وفق منطق الكبار بل وفق منطق الطفل، الأمر الذي يجهله الكبار. وبهذا المعنى يمكن للطفل أن يعلم الكبار وحتى الباحثين في هذا المجال. المكان المعرض للتجربة: inavale

إن جعلنا للدراسات الأنكلوساكسونية متقدمة في الترتيب على مثيلاتها الفرنكفونية راجع لصدارة الأولى في هذا الموضوع .من حيث السبق التاريخي والإبتكار المنهجي ، لكن تبقى هذه الدراسات نفعية ومدعمة من طرف المؤسسات السياسية قصد حل نوع من الأزمات المجالية والإجتماعية. وكما تحدث عن ذلك لينش حول الإعداد النوعي للمجال.حيث بين لينش نماذج دراسات أكاديمية اعتمدها المعدون لإعداد المجال .مبينا بذلك أهمية مؤسسة البحث العلمي لكورت لووين.

[1] Rogers downs, **children's experience of place, by Roger Hart**, Geographical review, vol.70, no.2, American geographical society,1980, pp 229-230

5- دراسة بايي لمدن في فرنسا سنة 1977[1]

مكنت دراسة بايي حول مدن بغرب فرنسا، انطلاقا من استثمار نتائج بحثه الذي اعتمد على المقابلة المباشرة وعلى الخرائط الذهنية لهذه المدن من توصل بايي إلى عدة نتائج حيث تمكن من التمييز بين أربعة أنواع من مواصفات المجال: طوبولوجية، اسقاطية، رمزية وجغرافية

1-المواصفات الطوبولوجية: عبر المعيش وعبر الزيارة المتكررة لأماكن أنشطته وإقامته والمحاور الطرقية التي يمر عبرها، يدرك كل شخص المجال الحضري؛ من هنا تظهر خاصية المواصفات الطوبولوجية في معرفة المدينة، في علاقات القرب وفي الهوية. مواصفات تترجم المعيش اليومي (معيش الحي بالنسبة للأسر، والمعيش متشتت Eclatés بالنسبة لمن ينتقلون من مكان لآخر حسب طبيعة أنشطتهم.

فلا يمكن أن توجد معرفة موضوعية صالحة للكل عن المنظر (Paysage) لأن معرفتنا تتشكل في الزمان والمكان عن طريق الأنا Le Moi. في حين، يتنوع المجال المدرك حسب الابتعاد عن المركز وعن المجالات المعيشة: يظهر كل الرابط المجالي بلغة مسافة-مدة-ذاتية.

[1] Bailly, A, Beguin, H, Introduction à la géographie humaine, Armaud Colin, Paris, 1982- 2001, p 174

2-المواصفات الإسقاطية: لا يمكن اختزال الصورة في مثير ما هو يومي. فالإنسان يتحكم بذاكرته وبمخيلته في الزمن. فمن خلال بحثه، تبين لبايي، أن المواصفات الإسقاطية للمستجوبين التي تظهر إدراك المدة في التطور التاريخي للمجال المبني والأسطورة التاريخية والدينية والزمانية، جزء لا يتجزأ من صورة المدينة.

3-المواصفات الرمزية: تترجم المواصفات الرمزية لتمثلات المجال، جاذبية المركز. الجاذبية بين المركز والمحيط والفارقية بين الأحيات ذات الصدى الجيد وذات الصدى السيء رغم كونها لا تتطابق مع الوضعية الحالية. ديمومة الرمزية تتجاوز الواقع.

وقد توصل من خلال بحثه إلى أن المواصفات الجغرافية تنضاف إلى مواصفات المجال الثلاث هذه. فهذه المواصفات غالبا ما تكون ظاهرة للعيان: يدخل في هذا المستوى دور المحاور، التقاء الطرق، الأحياء الظاهرة، الأحجام الظاهرة المبنية أو غير المبنية المستعملة ك معالم (Repères)، إحداثيات، المحاور كالقناطر والحدود (التماس بين الحضري والقروي).

نستنتج من دراسة بايي هذه أن المجالات ليست عبارة عن نقاط أو مساحات أوقليدية بل هي حبلى بالقيم والرمزية. ومن جهة أخرى، تعتبر رجوعا صريحا إلى الفاعل الجغرافي. لكن مع ذلك فقد كانت محط نقد من طرف الجغرافيين الراديكاليين حيث كان انتقادهم يدور حول عدم اهتمامها بتأثير العلاقات الاجتماعية على المجال، وإعطاؤها

قيمة مبالغ فيها لدور الحرية الفردية إضافة إلى اكتفائها بالوصف عوض التفسير.هي ثلاثة انتقادات لهذه الجغرافيا من طرف الجغرافيا الراديكالية أو النقدية.

6- دراسة جودلي دنيس (Denis Jodelet) وميلكرام S.Milgram حول صورة باريس[1]:

ركزت هذه الدراسة على الجانب التقييمي للدوائر الباريسية من حيث التفضيل ومدى المعرفة بها، ومن حيث اختيار أو رفض الإقامة بها وكذا نوع الأنشطة وسياسة التعمير الذي يلاحظ بهذه الدوائر. لقد اعتمد الباحثان على المقابلة. وتوصلا إلى النتائج التالية:

- تقسيم المجال الحضري الباريسي يتمحور حول مركز وشريط تاريخيين؛

- ظهور نواة مركزية يتبلور داخلها حلم أصيل ومهد وجذور المدينة؛

- يتمحور كل ما هو تقييم إيجابي حول الأحياء الأولي لنشأة المدينة.

- نحث أحد حيطان مؤسسة مالية هدم سنة 1859، في الذاكرة الجمعية أثرا للسلم الاجتماعي مع هوسمان. فمع رفض إحدى

[1] Milgram, S., Jodelet,D., Psychology maps of Paris, in H.M Prodhansky, W.h Itelson et L.Grivilin (éd environnemental psychologie :People and their physical settings, new york, Holt, Rinehart, Winston, In Moscovici, S. Dir, Psychologie social, Op Cit, p 364

الجماعات المجتمعية وتمركزها في حدود الضاحية، طبعت صورة باريس الاجتماعية بالتفرقة والإقصاء الاجتماعيين والميز السكني، هذه الصورة حاضرة بشدة إلى اليوم.

لقد توصلت دراسة جودلي وملكرام إلى قيام البنية الحضرية على أساس متخيل ورمزي يعكس الكيفية التي يعيش بها الباريسيون مدينتهم؛وتوصلت، أيضا، إلى أن التنظيم المجالي ينظم إدراك مختلف الأحياء في تمثلات سوسيومجالية مشتركة.

إذن مع جودلي، تتركز التمثلات الاجتماعية في صورة تعكس التاريخ، تعكس كذلك العلاقات الاجتماعية والأفكار النمطية.

7- دراسات حول تقويم الإشباع المجالي : [1]

عادة ما تنصب هذه الأبحاث على نوعية جودة الحياة المدركة على المستوى الجهوي أو الحضري . لهذا اعتبر الباحثون أنه من اللازم استكمال المؤشرات الفيزيقية للمجال بمؤشرات ذاتية تترجم إيحاءات ورضى السكان . ففي جنيف ،لا حض بايي، بصدد القطاعات الشعبية ، أن سكانها الذين يقطنون خارج تلك الأحياء يحكمون على السكان تبعا للمؤشرات الفيزيقية (النظافة ، تدهور المباني) ويتحدثون عن ذلك بمفاهيم المعيش الاجتماعي والرفاه

[1]أنطوان بايي، " المجال والتمثلات الذهنية"، الزاهي.ف. ترجمة، البحث العلمي،مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية،ملف المجال:التجليات والإستعمالات،جامعة محمد الخامس،العدد43-44 ،1997،ص ص، 71-80

الشخصي . وهم يتمنون الاستمرار في العيش داخل أحيائهم التي يعجبون بها لأسباب تعود إلى الارتباط الترابي الإقليمي ، وهي أسباب من الصعب فهمها بالنظر إلى الجودة الموضوعية للمحيط . وتشكل التحقيقات المتعلقة بمحاسن ومساوئ الإصلاحات الحضرية الشهادات الأولى عن التباينات الموجودة بين الدراسات المنطلقة من مؤشرات موضوعية وتلك المنطلقة من مؤشرات ذاتية .

ليس لأي متغير لوحده ، أثر مهيمن على الحكم ؛ فالرضى عن الوسط يتبلور عبر مجموعة من العناصر تكون شخصية واجتماعية وبيئية في الآن نفسه . كما أن فهم المحيط الموضوعي لايكفي ، إذ من اللازم الرجوع إلى الوضعيات الفردية، (الحالة الحالية والحالة المرغوبة)، لإدراك معنى رد فعل السكان وأسباب رضاهم (أو استسلامهم لحالتهم) . وقد استخلص معهد البحث في السلوك التابع لجامعة يورك (York) أنه من الأفضل إيجاد معيار مباشر للرضى الشامل يكون أكثر ملاءمة من أي مؤشر اصطناعي . بهذا الشكل يغدو المجيب ، وليس الباحث، هو الذي يقوم بالموازنة .

المبحث الثاني :الإطار المنهجي

يهدف البحث في تمثلات ساكنة مراكش لمجالهم الحضري، إلى إبراز اهمية دور التمثلات في إعداد التراب وفي التنمية وفي التخطيط المجالي. ويهدف كذلك ،إلى إظهار التمثلات المشتركة للساكنة من خلال بعض النماذج النظرية المتوصل إليها من خلال التفاعل مع هذه الساكنة. وهي نماذج يتعين الأخذ بها من طرف أصحاب القرار في التدبير الحضري وذلك لتقديمها تحليلات ذات مستويات عدة لعلاقة ساكنة سيبع بمجالهم الحضري.

1 أسباب اختيار الموضوع:

وكما أن لكل سبب مسبب فإن لكل اختيار دوافع. إن اختيارنا لهذا الموضوع راجع لعدة اسباب ذاتية وموضوعية، نعتبرها دعامة قوية لإضفاء المشروعية على هذا الاختيار.

- **<u>الدوافع الذاتية</u>**

فتتمثل الأسباب الذاتية في ثلاثة دوافع : الأول من حيث الموضوع كمركز اهتمام ، ثانيها من حيث اختياري لمجال الدراسة والثالث له علاقة بأرق وهم معرفيين.

ـ **التمثلات المجالية كمركز اهتمام:** تعتبر التمثلات المجالية من أهم مراكز اهتمامي حتى قبل ولوجي

ماستر إعداد التراب والتنمية الجهوية . لقد كان انفتاحي عليها من خلال أحد أهم الحقول المعرفية الآن والمتمثلة بالبرمجة اللغوية العصبية. وبالضبط من خلال أولى ركائزها : "الخريطة ليست هي العالم" لألفريد كرزبسكي عالم السيميولوجيا العامة وأستاذ باشلار صاحب القطيعة ؛

ـ لانفتاحي على التمثلات أثناءالتكوين الأساسي في حقل علم الإجتماع[1] ؛

ـ لادراكي أهمية المقاربة المجالية لاي ظاهرة، وإمكانيات المرور عبر الجسور المعرفية التي مافتأت تشيد في الآونة الأخيرة بين الحقول المعرفية المختلفة.

- **<u>الدوافع الموضوعية</u>**

سأجمل الدوافع الموضوعية في شقين: العلاقتها بموضوع الدراسة ، و بأهمية مجال الدراسة :

ـ **من حيث موضوع الدراسة:** لاحظنا نذرة الكتابة حول التمثلات عموما وتمثلات ساكنة سيبع خصوصا. إلا بعض أعمال أساتذة الجغرافيا: على حد

[1] دروس مصطفى السعليتي حول التمثلات الإجتماعية، الفصل الثالث من التكوين الأساسي من سلك الإجازة في علم الإجتماع،سنة 2005

علمنا ،مع عبد العزيز المجدوبي[1] في فقرة من فقرات بحثه. ثم بعض الإجازات التي أطرها الأستاذ حسن لمباركي[2]، ثم البحث الذي قام به مركز تنمية جهة تانسيفت حول جودة الحياة والتنمية في مدينة مراكش سنة 2007. معطيات شكلت قوة وأضفت مشروعية لاختيار هذا الموضوع.

2 الجانب المنهجي

إن الإختلافات المتواجدة بين الأفراد والجماعات، تجعل اختلاف تمثلاتها للمجال، موضوعا، يجب البحث فيه .

1- التساؤلات و الفروض

لقد انطلقنا من **تساؤلات** يعتبر التحقق منها أمرا يستدعي التجريب:

- ماهي العوامل المؤثرة في تمثل السكان لمجالهم ،وفي تشكيله؟
- هل نجد تباينات بين المستجوبين في تمثلهم لمجالهم الحضري؟

وتحققا جوابا عن هذه التساؤلات نقترح **الفروض** التالية:

[1] EL MAJDOUBI .A. (1988), « Les mutations d'un espace urbain à Marrakech : Sidi Youssef Ben Ali », thèse de doctorat de 3ème cycle, Université François RABELAIS- Tours .

[2] إجازات حول الممارسات المجالية وتمثلات السكان

- إن هناك اختلافات في تمثلات سكان الحي حسب السن والجنس؛
- تختلف تمثلات ساكنة سيبع لمجالهم حسب نوع الحيازة
- إن المجال الحضري لمراكش قابل للتصورويتوفر على عناصرالأكثر قابلية لذلك.

لقد تم البحث عن عناصر الإجابة عن هذه التساؤلات في لحظتين متكاملتين:الأولى بيبليوغرافية والثانية ميدانية

2ـ طريقة معالجة البحث

يعتبر بحثنا تجريبيا معتمدا على لحظتين من الإتجاز:لحظة بيبليوغرافية والثانية ميدانية.

ـالمعالجة البيبليوغرافية: تمكنا من الحصول على أعمال علمية، تطرقت لموضوع التمثلات من زوايا متعددة. لقد تنوعت هذه الأعمال. وهي تنتمي لحقول معرفية عدة من بينها الجغرافيا.وقد انتمت إلى تيارين مختلفين:أنكلوساكسوني وفرانكفوني.(المبحث الأول).أما من حيث التطرق إلى مراكش وأحيائها ،فقد قاربنا الموضوع من منظور تطوري معتمدين على مؤلفات مختلفة من حيث الكرونولوجيا ومن حيث زوايا التناول. كما أننا اعتمدنا على إحصاءات: المديرية الجهوية للإحصاء

ومجلس مقاطعة سيدي يوسف بن علي والمجلس الجماعي وولاية مراكش والوكالة الحضرية لمراكش .

- **التجريب الميداني**

إن الكشف عن تمثلات ساكنة سيدي يوسف بن علي لحيهم ولمدينتهم مراكش يستدعي بناءا منهجيا يستجيب لمنطق بحث حول تمثلات المجال . وعلى هذا الأساس، استعملنا ثلاث تقنيات متكاملة :

- **الإستمارة:** مقسمة إلى6 محاور تم تعبئتها مباشرة مع المستجوبين وتدوم تعبئتها ما بين 50 و ساعة ونصف مع كبار السن. وتم الإهتمام فيها بمقياسين لرصد التمثلات :

مقياس صغير خاص بمراكش ككل ومقياس كبير مقارنة مع الأول يخص كل حي على حدة. ويراعى في الأسئلة قدرتها على إثارة تمثلات عامة عن مراكش ثم تمثلات عن الحي . ولقد دعمنا كل سؤال مركزي لدينا بأسئلة فرعية تصب في استكمال المعنى المجالي لدى المبحوث. وهنا وظيفة بعض الأسئلة التي تتكرر حسب السلم:

1) السؤال حول السلبيات والإيجابيات ثم سؤال الوصف

الغرض من هذا السؤال هو استخراج التمثل الخاص المجال الحضري حسب المقياس الخاص بالدرب ثم الحي تم البحث عن

التمثل العام عن المدينة . وكونه سؤالا مزدوجا ، فالسؤال عن "سلبي""إيجابي" يبحث من خلاله عن **الأحكام** التي يعطيها المستجوب عن مراكش وبالتالي تمس الجانب العاطفي الحسي والبعد القيمي لذا المستجوب . أما طلب الوصف، فمن شأنه استخراج معظم ما يميز المجال والجانب الذي يهم المبحوث أكثر.

2) سؤال الإحالة على الأحياء

هذا السؤال يمكن من رصد صورة الأحياء في ذهن المستجوبين. لكن مع إبقاء كلية المجال – مراكش – في الحسبان رغم الحديث عن مقياس أكبر.

3) سؤال أماكن الزيارة وسبب ذلك؟

نتمكن من إبراز المجالات الممارسة من طرف المستجوبين ، والدوافع وراء ارتيادها (ترفيه – عمل – تجارة)

4) السؤال عن الأحياء المراد تغيير الإقامة إليها بالنسبة للمستجوب:

هذا السؤال تستدعي جانبا شفهيا بإمكاننا مطابقته بأداة " الخريطة الذهنية " التي يعين عليها المستجوب الأماكن ذات الأهمية بالنسبة له . وبالتالي سنتمكن من مقارنة الجانب الشفهي في التمثل والجانب المادي فوق الخريطة .ولكون هذا السؤال مفتوح ، فإننا نتوخى من خلاله الحديث عن الأمكنة الأهم بالنسبة للمستجوب حسب معاييره الخاصة به.

5) السؤال عن عدم إرادة تغيير الحي والسبب في ذلك :

قد يظهر هذا السؤال ثانويا لما قد يتشابه به في أجوبته بالسؤال ، لكن نتوخى من خلاله استخراج المجال العاطفي الذي يرتبط به المستجوب ، والأسباب التي جعلت هذا المكان محبوب دون آخر. مايمكننا من التحقق من المراسي التي شدت المستجوب إلى المجال المحبوب.

6) سؤال الإحالة إلى مراكش عن طريق أماكن معينة :

هذا السؤال من شأنه استخراج الأماكن التي تحيلنا على صورة مراكش عموما . إظافة إلى معرفة الأماكن التي تكون هوية مراكش لذا المستجوب. واستخراج الأماكن الأكثر قابلية للتصور

7)أسئلة الجوار :نريد من خلالها التعرف على مدى انسجام وتوحد أنواع علاقات الجوار بسيدي يوسف .

- **الخريطة الذهنية**

إن الخريطة الذهنية sketch map منتوج ، يمكننا من تثبيت صور مجال معين ، واستخراج مدى المعرفة المجالية للأشخاص. بدأت الفكرة في حقل السيكولوجيا وتطورت مع الجغارفة خاصة Gould ، والثنائي الجغرافي وعالم النفس Downs و stea

إنها وسيلة تسلط الضوء على المخيال الفردي والجماعي وعلى الكيفية التي تبنى صورة المجال لدينا .صورة تعتبر أساس الكثير من سلوكاتنا المجالية سواء من حيث اختيارنا والمسالك

itinéraires أو من حيث الأفضلية المجالية لدينا .[1] واستلهاما من أعمال كل من بايي (A.Bailly) C. Cauvin[2] ,K.Lynch و Y. andré . قد عززنا تحليلنا ببعض الخرائط الذهنية.

---

[1] - A.bailly , Enseignerles représentations régionales ,in ل Bailly et all,représenter l'espace : l'imaginaire spaciale à l'école , Anthropos, Paris, 1989, p 148

[2] اعتمدت على المرجع السابق لأهميته المنهجية و لاعتباره مرجعا هاما لدراسة التمثلات المجالية إضافة إلى كونه جامع لمقالات وأبحاث 16 جغرافي معتبر. من بينهم إيف أندريه Y. André وكومشيان Gumuchian، فيراس R. Ferras، كيران J.P. Guérin وآخرون

3- مراحل توطين التمثلات الحضرية على خريطة (التعرف)

تمر عملية إظهار التمثلات الحضرية على خريطة من ثلاث مراحل : مرحلة إحصائية ،ثم مرحلة حسابية وأخيرا مرحلة خرائطية .

أ المرحلة الإحصائية

بعد الحصول على الخرائط:الخريطة الذهنية ، وبعد والحصول على استمارات العينة، نقوم بعملية جرد عدد المرات التي تم فيها التعرف على مجال معين أو على مكان محدد . إن هذا الجرد يأخذ بعين الإعتبار عدد المرات التي رسم فيها المكان المذكور X وتكرار عدد المرات التي ذكر فيها اسمه أو الأخذ بعين الإعتبار الرسم والإسم معا. يبين الجدول أدناه عملية الجرد. والمثال المختار هو الشارع X/ .

ب المرحلة الحسابية

بعد الحصول على نتائج المرحلة الإحصائية، نقوم بتطبيق المعادلة الآتية على المعطيات وذلك قصد الوصول إلى مؤشرين هامين:الأول يخص مؤشرالتعرف على المكان index d'identification والثاني مؤشر التمثيلية الذهنية index de représentativité. والعمليتين الحسابيتين حسب كوفان كالتالي:

مؤشر التعرف على الشارع(أ) مثلا يساوي خارج قسمة العدد المحصل عليه في المرحلة الإحصائية بعد عد

مؤشرالتعرف على المجال هو:عدد المرات التي تردد فيها إسم هذا الشارع سواءا إسما أو رسما أو هما معا مقسوم على عدد المستجوبين

مؤشر التعرف على المجال $$= \frac{\text{عدد مرات تردد الشارع (أ) (رسما أو إسما أو هما معا)}}{\text{عدد المستجوبين}}$$
مؤشر التمثيلية $$= \frac{\text{عدد تردد الشارع (أ) (رسما أو إسما أو هما معا)}}{\text{مجموع تردد كل الشوارع(رسما أو إسما أو هما معا)}}$$

أما مؤشر التمثيلية فهو خارج قسمة عدد تردد المجال المتعرف عليه رسما أو إسما أو هما معا على مجموع المجالات التي تردد اسمها رسما أو إسما أو هما معا .

مثال:مؤشر تمثيلية الشارع(أ) يساوي خارج قسمة عدد تردد الشارع (أ) (رسما أو إسما أو هما معا) على مجموع تردد الشوارع رسما أو إسما أو هما معا م

ج- المرحلة الخرائطية

يتم توطين المجالات على الخريطة حسب المعدلات التي تم الحصول عليها،وبالتالي تساعدنا الخريطة على إظهال أهمية وتراتبية الأماكن المكونة للمجال الحضري المراكشي حسب مؤشر التعرف على هذه الأمكنة وحظورها في الخرائط الذهنية لعينة البحث.ومنه فالمرحلة الحسابية ،من خلال مؤشر التعرف ومؤشر التمثيلية الذهنية سيساعدان في العملية الخرائطية في أفق إنزال ومشاهدة المتمثل على الخريطة.

وقد اعتمدنا برنامج SPHINKS للمعالجة الإحصائية للمعطيات، وبرنامج MAPINFO 10 للعمل الخرائطي وبرنامج معدل للخرائط الذهنية MIND MAPPING.

الفصل الثاني:

الإطار المجالي والإجتماعي

مقدمـــة

عرف المغرب خلال العقود الأخيرة نموا حضريا مهما له علاقة بالإنفجار الديمغرافي والهجرة القروية اتجاه المدن الكبرى . ويعتبر التغيير المورفولوجي لهذه التجمعات الحضرية والتغيير السوسيواقتصادي والثقافي للمدن من أهم المؤشرات الدالة على هذا النمو.

ومع ظهور الحماية ، عرفت مورفلوجيا بعض المدن توسعا ملحوظا ، وذلك بظهور دور الصفيح ، لتأخذ وتيرة حادة بعد الحرب العالمية الثانية . وقد وصف ايكوشار (Ecochard) ،المهندس المعماري الفرنسي ، مدير التعمير في الفترة ما بين 1947 إلى 1953 .والذي تميزت فترة وجوده بالمغرب بنهجه لسياسة اعتمدت تنفيذ مجموعة من العمليات السكنية الموجهة لفئات عريضة من السكان عرفت بشبكة 8x8 ، وصف هذه الظاهرة ونشأتها بالنسبة للبيضاء وذلك في مجرى حديثه عن مركز المدينة القديم بأنه " مع الإختناق الذي عرفه المركز ، تجاوزت المدينة حدودها إلى الخارج فشهدنا نشوء دور الصفيح فوق المجالات الفارغة بجوار

المدينة وبمحاذاة المصانع ، وملتقيات الطرق الكبرى ، حيث بدأت أنشطة صناعية أو تجارة"[1] .

لقد شهد المغرب في فترة الحماية ، تحولات سوسيو اقتصادية وثقافية عميقة ، تحولات مست القروي والحضري على السواء ، أسفر عن هذه الوضعية هجرة نحو المدن غير المؤهلة قبليا لإستقبال هذه الأمواج من المهاجرين ما أسفر عن ظهور دواوير وتجمعات سكنية هشة – سيدي يوسف بن علي – أخذت بالتزايد لتصبح ظاهرة مجالية عرفتها جنبات مدن المغرب .

مع الاستقلال ، احتدت الظاهرة لكن في المقابل حاولت الدولة إيجاد حلول لكن مجهوداتها لم ترق إلى الأهداف المحددة بسبب غياب استراتيجيات واضحة وشمولية ودائمة تهم إعداد التراب الوطني .

وعلى مستوى مراكش(المبحث الأول) ، فإن تطوره لايشد على هذه القاعدة العامة التي عرفتها مدن المغرب ، لكن مع بعض الإختلافات والخصوصيات . فاختناق المدينة العتيقة أدى إلى ظهور أحياء في هامشها لها خصوصية على مستوى البناء وخصوصية

[1] - Ecochard M , habitat et construction pour les plus grand nombre B.C.S.M , cité par Fathallah A, problèmes de la reconstruction d'un tissu clandestin : amélioration d'une opération à Marrakech, in Mouradi.M, le phénomène des douars spontanés dans l'agglomération urbaine de Marrakech : de l'apparition à la restriction , mémoire de 3ème cycle pour l'obtention du diplôme des Etudes supérieurs en aménagement et urbanisme, INAU, Rabat , 1999 , p 18

على مستوى قاطنيها وكانت هي الأخرى نتيجة لعدم « قدرة المدينة العتيقة على استيعاب سكان جدد»[1] ما أدى إلى ظهور حي سيدي يوسف بن علي وأحياء أخرى (المبحث الثاني).

المبحث الأول:مراكش بين الإنتقالية الديموغرافية وحركة الهجرة والتوسع القسري

I. آنتقالية ديمغرافية[2]

عرف ، يعرف وسيعرف المغرب تحولات عميقة على مستوى ساكنته وبنياته ونظم قيمه وسلوكاته .فقد شهد نظام ساكنة المغرب خلال نصف قرن الفارط تحولات عميقة و تطورا متسارعا يوحي بآلإستمرار في هذا الإتجاه. إن تطرقنا لهذه الانتقالية الديمغرافية يضع أي حديث عن التوسع الحضري وعن البنيات السكانية في إطارهما العام ، الذي عرفه المغرب، والذي هو عليه الآن مع بعض الخصوصيات بين الحضري والقروي .

1 ساكنة مغربية في تطور

نظم المغرب أول إحصائه له بعد الاستقلال سنة 1960 وكان آخره سنة 2004 . تمكن هذه العمليات الإحصائية من معرفة أفضل

[1] -Mandleur A , « Croissance et Urbanisation de Marrakech » RGM, n 22 , Rabat, 1972 , pp31-60

[2]- اعتمدنا في تقديم هذا المحور على تقرير الخمسينية اللجنة المديرية ، المغرب الممكن ، إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك ، مطبعة دار النشر المغربية ، الدار البيضاء 2006 ، ص 23- 35

بالسلوك الديموغرافي لساكنة المغرب. لقد بلغ عدد سكان المغرب في بداية القرن مايقارب 5 ملايين نسمة ، ليبلغ تسعة ملايين نسمة عام 1952 أي بنمو يعادل 4 ملايين خلال النصف الأول من القرن العشرين . وخلال النصف الثاني من نفس القرن سجلت نسبة نمو مماثلة لكن هذه المرة لم تستغرق سوى عقد فقط من 1952 إلى 1960. فمن 1960 إلى 2004 تضاعف عدد السكان بمعدل 2,6 ، متنقلا من 11,6 مليون إلى 29,9 مليون ، بحيث انخفظت رغم تسجيل انخفاظ في نسبة النمو السنوي خلال الفترة بين 1960 و1970 ب % 2,6 وبنسبة 1,4 مابين 1994 و 2004.[1] ويكتسي النمو الديمغرافي بالوسط الحضري مدى أكبر مما هو عليه بالوسط القروي ، إذ تطورت الساكنة الحضرية مابين 94-04 بوتيرة سنوية متوسطة قدرها % 2,1 مقابل % 0,6 في القروي .

2ـ الانتقال الديمغرافي : خصائص ونتائج

عرفت الساكنة المغربية غداة الاستقلال ارتفاعا في نسبتي الوفيات والخصوبة، لكن بفضل التقدم في مجال الصحة، شرعت هذه النسبة في الانخفاض ، ما شكل هوة بينها وبين نسبة الخصوبة،

[1]ـ المغرب الممكن ص 27

الشيء الذي أدى إلى تسريع وثيرة نمو السكان خلال العقدين الأولين من الإستقلال.

1.2- الخصـــائص

وابتداءا من أواسط السبعينيات ، بدأت الحركة الإنتقالية الثانية مع حدوث خصوبة لم تكف عن التراجع الشيء الذي جعل خاصية انتقال الخصوبة بالمغرب تعد من أسرع الإنتقالات في العالم. [1]

أ- تراجع معدل الوفيات

تعتبر نسبة الوفيات المكون السلبي للدينامية الديمغرافية . كما أن تطورها يعكس درجة تحسن الظروف الصحية للساكنة ومدى استفاذتها من البنيات الصحية والتطهير، مع وجود استثناءات مجالية طبعا * وكذا من جودة العلاجات الوقائية والإستشفائية . لقد بلغت النسبة الإجمالية للوفيات % 25,7 مابين 1950 و 1955 ، وناهزت نسبة % 18,7 سنة 1962 ، كما أن متوسط العمر لم يكن يتجاوز 43 سنة بالنسبة للفترة الأولى و 47 سنة بالنسبة للثانية . أما نسبة الوفيات لدى الأطفال والشباب ، فكانت تصل إلى مستويات جد مرتفعة . وتعكس قرينة ارتفاع أمد الحياة عند الولادة هذا التراجع في الوفيات . فمن 47 سنة في بداية السيتنيات إلى 70,5 سنة في 2004، 72,5 للنساء مقابل 68,5

*- تفاوت الوصول إلى تغطية كل المجال الحضري بهذه التجهيزات مع تفاوت الوضعية المجالية من حيث ظروف السكان وبتبادل مجال التسطح وقت الإحصاء

سنة للرجال أي مايعادل زيادة متوسطة تفوق ستة أشهر عن كل سنة ، خلال نصف قرن .نفس الملاحظة تنطبق على وفيات الأطفال التي انخفضت . حيث انتقل معدل خطر الوفاة قبل السنة الأولى من العمر من 149 حالة وفاة من بين 1000 مولود (‰ 170 في الوسط القروي و ‰ 100 في الحضري) سنة 1962 ، إلى 479 سنة 2004 (‰ 56,7 في القروي و ‰ 38,6 بالحضري)[1] .

يمكن القول بأن تحسين البنية التحتية الصحية وحملات تلقيح الأطفال في سن مبكرة ضد أمراض الطفولة عوامل لعبت دورها في انخفاض وفيات الأطفال بالمغرب مقارنة بالستينيات، لكنها تبقى نسبة كبيرة مقارنة بدول أخرى .

ب- انخفاض الخصوبة

اتصفت المرحلة الثانية من الإنتقال الديمغرافي بانخفاض الخصوبة والإنجاب . كان تراجع الخصوبة بالمغرب من بين الوتيرات الأكثر سرعة في العالم ، وبذلك تصل الخصوبة اليوم إلى مستويات تهدف إلى تعويض الأجيال كما هو الشأن لحالة الوسط الحضري ، المؤشر التركيبي للخصوبة باعتباره معيارا لكثافة خصوبة النساء ، انتقل من 7 أطفال للمرأة سنة 1962 إلى 2,5 طفل سنة 2004 (2,1 بالوسط الحضري و 3 بالقروي) .

---

[1]- المغرب الممكن ص 28.

ويعبر تحول السلوك الإنجابي للنساء المغربيات ، هو مايفسر جانبا من التحول الذي طرأ على نظام الخصوبة ومن تم على التحول الديمغرافي ممايؤشر على تحولات قيمية لها علاقة بالتحرر إزاء الوظيفة الإنجابية ، وتعزيز هذا السلوك بانتشار استعمال وسائل منع الحمل ، حيث أن % 8 من النساء يلجأن إلى هذه الوسائل في مقابل 60% اليوم في 2006.[1] ونرجعه نحن إلى الإيديولوجيا الملتوسية التي زرعت فوبيا التي تنشأ عن مقابلة النمو السكاني بالغذاء وما ينشأ عنه ، كأحد استراتيجيات حل المعادلة داخل المنطق المالتوسي ، سياسات تحديد النسل .

وقد شكلت ظاهرة الزواج المتأخر عاملا من عوامل تغيير هذا السلوك الإنجابي . فقد انتقل معدل الزواج الأول سنة 1960 من 24 سنة بالنسبة للرجال و 17,5 سنة بالنسبة للنساء ، إلى 31,2 سنة بالنسبة للرجال و 26,3 سنة بالنسبة للنساء في تاريخ صدور التقرير. كما تدخل عوامل أخرى وراء تأخير الزواج تحيلنا إلى صعوبة الظروف الاقتصادية والإجتماعية[2] الشيء الذي انعكس على زوايا مهمة لها ارتباط بنية الأعمار والتحضر .

[1]- المرجع السابق ص 29.
[2]- نفسه ص 30.

2-2 الانتقال الديمغرافي : النتـــائج

أ- الديمغرافيا وبنية الأعمار

كنتيجة للنمو الديمغرافي المتسارع ، فإن التجليات السكانية ديمغرافيا من حيث السن ، أضحت تعكس الآن السمة الشابة والمتنامية للشرائح العمرية النشيطة . فقد وصلت نسبة البالغين من العمر أقل من 15 سنة في 2006 إلى 30% في حين تناهز نسبة البالغين من العمر مابين 15 و 59 سنة أكثر من % 62 في حين، يلاحظ استقرار نسب الأشخاص المسنين الذي استقرت في 7,6 %.[1] هذه النسب تحيلنا إلى السؤال حول تطلعات الفئات الشابة ومايمثله لهم المغرب ، ومدى قدرتهم على إيجاد التوازن بين تسويق صورة غرب وواقع مغرب يتمثل كأنه الجنة المفقودة.

فإذا كان صغر سن الساكنة من نقط قوة المغرب فإنه يضع استرتيجيات السياسة العمومية أمام تحديات لها علاقة بالتربية والصحة والشغل والأهم من ذلك استجابتها لتطلعات هذه الساكنة الفتية وفقا لتمثلاتها لمجالها بصفة عامة ومجالها الحضري على الخصوص.

** عرضنا لكلمة اليوم التي جاءت في التقرير بالسنة 2006، اعتبارا منا أن " اليوم " الذي يتحدث عنه الكتاب هو تقريبا 2006 ظهور الكتاب

3- نفسه ص 31.

ب ـ التمدين وديناميه المدن

اتسم المغرب في بداية القرن 20 بنسبة تمدين ضعيفة لاتتجاوز % 8 من مجموع السكان . وقد حدد إحصاء 1960 بنسبة التمدين في حوالي % 29 مقابل % 55,1 سنة 2004 ، وكان ذلك نتاجا للنمو الطبيعي لسكان الحواضر ، وأساسا نتيجة دينامية الهجرة من البوادي نحو المدن ، وبسبب إعادة التصنيف الإداري الذي نجم عنه توسع المدارات الحضرية للمدن أو انتقال مراكز قروية إلى وضعية حضرية . وهكذا فإن الساكنة الحضرية التي لم تتجاوز 3,4 مليون نسمة سنة 1960 ، تضاعفت 5 مرات لتستقر في 16,5 مليون نسمة سنة 2004 .

إن وتيرة التمدين بالمغرب تعرف تباينا حسب جهات المغرب ففي سنة 1960 كانت توجد بالمغرب 112 مدينة من بين 11 مدينة كبرى ومتوسطة (أكثر من 50.000 نسمة) وفي 2004 تجاوز هذا العدد 350 مدينة من بينها 54 مدينة ذات كثافة سكانية تفوق 50.000 نسمة ، وتتمركز الساكنة المغربية الحضرية في هذه الأخيرة . تحتوي هذه المدن التي تمثل في حدود 2006** ، % 15 من مجموع مناطق الحضرية المغربية ، وحدها مايناهز ثمانية قرويين من أصل عشرة [1]. وبالتالي يمكننا طرح السؤال عن نظرة

[1]- نفسه ص 33

ساكنة مراكش لهذا القروي ، بآعتباره حلقة من الحلقات المؤثرة في روح المدينة* .

خاتمة

تطرح هذه الدينامية ، كسيرورة تاريخية ، أسئلة ملحة تتعلق بإعداد التراب وبتنظيم الأنشطة الإنتاجية والتنافسية .إن مسألة التمدين وما يرتبط به من ظاهرة الهجرة وديمغرافيا وما اقترنت به من تحولات في ديناميات بنية الأعمار وديناميات المجالات، اتصفت بظهور استراتيجيات خاصة للسكان المختلفي أنماط العيش والذهنيات ، السكن ، أدت إلى إتخاذ قرارات سياسية تقارب حل بعض المشاكل المرتبطة بهذه الوضعية والتي تهم السكن مثلا وتوسيع المدار الحضري كواقع وكتمثل.

لكن تدبير الأزمة والشأن الحضري يستوجب الأخذ بعين الإعتبار خصوصية المجالات والسكان معا. وسيروراتهما التكوينية . فماهي خصوصية مراكش كمجال وخصوصية مراكش كحالة نفسية لسكانها ؟

II- مراكش في توسع : الأسباب والمراحل

مقدمـــة

على طول فترة تطورها ، عرفت مراكش مجموعة من التحولات على مستوى بنياتها السوسيواقتصادية ، السياسية والعمرانية .فقد عرفت المدينة العتيقة تكثيفا مضرا لإطارها المبني وذلك منذ دخول أولى أفواج المعمرين لتجاوز بذلك توسعها خارج أسوارها . هذه الدينامية أعطت نشأة أولى أنوية الدواوير المفتقرة إلى شروط الحياة الحضرية سيدي يوسف بن علي (مثلا) . فبتزايد السكان الحضريين لم تستوعب هذين الوحدتين السكنيتين كلا من تزايد السكان الحضريين والقادمون الجدد الشيء الذي نتج عنه ظهور تجمعات سكنية شبه قروية وشبه حضرية حول المدينة العتيقة .

1- المدينة العتيقة : الإشباع المجالي ، واقع حال

تتواجد الآن وسط النسيج الحضري ، يحد المدينة العتيقة (م.ع) التوسع الشمالي للمدينة شمالا ، سيدي يوسف بن علي (سيبع) وأكدال جنوبا ، جليز غربا وشرقا وادي إيسيل ، وتمتـــد على مساحة 700 هكتار تقريبا . لقد عرفـــت (م.ع) منذ تأسيسها سنة 1062 ، عدة تحولات أغنت العلاقات المنظمة لحياة السكان . فالمشهد

الحضري والمعماري لهذا المجال المراكشي ، يحمل بصمات مختلف الدول التـــي تعاقبت على عرش المملكة المغربيـــــة منذ المرابطيـــــن (1062-1147) إلـــى العلوييـــن (1666 إلى الآن) (**الخريطة رقم 1**) . وكذا وبشكل أعمق حملت بصمات الفترة الكلونيالية[1] وبعدها بصمات الدولة المغربية بعد الإستقلال .

إننا أمام أكبر (م.ع) في الشمال الإفريقي : تتوفر على أسوار بعرض 9 km ، على ممرات متراتبة ليس لها منفد إلى الخارج إلا عبر أبواب كبيرة (باب أحمر ، أغمات ، دكالة ، الخميس ...) موجهة نحو الجهات الكبرى أو مدن أخرى[2] .

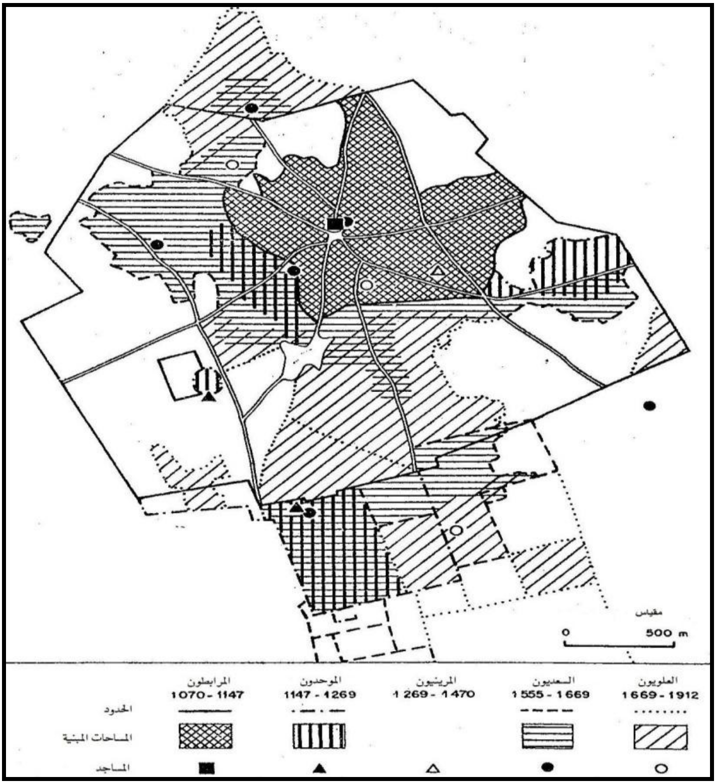
خلق مجيء أولى أفواج المعمرين ، نموا سريعا لساكنة (م.ع) بسبب إدماج نمط الإنتاج الرأسمالي في الإقتصاد الوطني . نتج عن هذه الوضعية ، تكثيف المجال المبني وتراجع ملحوظ للمجالات الفارغة داخل المدينة . لقد شكلت هذه المرحلة أولى خطوات التغير المستمر لمعطيات المجتمع التقليدي الحضري .فاستقرار المعمرين المجالات المحادية لجامع الفناءوجنبات المحاور الكبرى ؛ ليتم بناء عمارات على النمط الغربي ، جعل الخروج عن الأسوار حتمي الحدوث.

[1] - Ait hassou , op cite, p 53.
[2] - Ait hassou, op cite, p 56.

ومع إحداث المنطقة الصناعية خارج المدينة ، ومع الطلب المتزايد على اليد العاملة ، تمكنت المدينة من جذب أعداد مهمة من المهاجرين القرويين المتأثر بوضعية البوادي المغربية ، المتدهورة.[1] شهد التوسع الحضري بمراكش امتداداته في جميع الجهات . ورسمت الفترة الإستعمارية أولى ملامح هذا التوسع وبالتالي أولى فارقية في المجال المدرك الخارجي فارقية بين نمط تقليدي موروث ونمط عصري جديد أوربي .ببدئ تأثيرها على تمثلات الساكنة للمجال من حيث الحضري خاصة مركز المدينة . ألهذه الثنائية ، وإذاكان ماهو مدى التأثير ؟

[1] - idem p 56.

الخريطة رقم1: توسع المجالات المبنية بمراكش مابين 1070 و1912



المصدر بتصرف Mandleur A , « Croissance et Urbanisation de Marrakech »

2- عوامل توسع الحضري : الأسباب والمراحل

يعد التزايد السكاني والهجرة وترقية مجالات إلى حضرية من بين أهم عوامل توسع المجال الحضري لمراكش ، كما أن هذا التوسع عرف مراحل تباينت ملامحها قبل الإستعمار وإبانه ثم بعده .

1-2 التزايد السكاني

ترتبط سيرورة التوسع الحضري بالتزايد الديمغرافي . يعتبر هذا الأخير العنصر الضاغط على المرافق السكنية والخدمات والبنية التحتية لعلاقتها بتزايد الحاجيات ونمو الأنشطة الإقتصادية والسكنية المتطلبة مساحات إضافية وبالتالي امتدادا على مستوى المجال الحضري.

تتبوأ مدينة مراكش الرتبة الرابعة بين أكبر التجمعات الحضرية بالمغرب ، يقول فضل الله عبد اللطيف ، بكتلة بشرية تناهز 855.000 نسمة . تضم 27% من مجموع قاطني الجهة التي تسيرها ، بل % 67 من سكانها الحضريين .

1.1.2 السكان في مراكش : قرن من التطور

قد بلغت مراكش مستويات سكانية وعمرانية هامة إن عصورها الذهبية خلال القرنين تألق مؤسيسها ثم موسعيها وبالرغم من أنه ليس من اليسر معرفة عدد سكان المدينة في ذلك الوقت فإن التقريرات ، حسب ماندلور[1] ،تميل إلى حصر هذا العدد بين ستين إلى ثمانين ألف طيلة القرون الأخيرة . لكن ما تلور قد رفعه الى مائة الف. وقد تضاعف عدد السكان اكثرمن 3 مرات في اقل من ربع

---

[1] - Mandleur .A , croissance et urbainisation de Marrakech , RGM n° 22 1972 , 21 فضل الله ، المرجع السابق ص

قرن 1912 -1936 . فيدخل في تزايد بطئ حتى حلول الإستقلال.
وكان هذا التزايد المطرد نتيجة 3 عوامل :

أ- توافد أعداد هائلة من المغاربة : قادمين من السهول والجبال المحيطة اساسا.

ب- تقاطر افواج الاجانب المعمرين على اختلاف مشاربهم.

ج- استمرار الزيادة الديموغرافية الطبيعة للمغاربة الاجانب على السواء.

وقد قدر حجم السكان آنذاك ب 20.000 نسمة .[1]

لقد انضافت إلى سكان مراكش ، بعد الإستقلال إلى 2006**، كتلة بشرية تزيد عن 63500 نسمة مقابل رحيل كتلة الأوربيين واليهود***، ليرتفع عدد قاطني مراكش إلى 855.000 حسب تقديرات 2006 حسب معطيات الإحصاءات المعدلة[1] الملاحظة (في الجدول رقم 1)

---

[1]- المرجع السابق ص 22

الجدول 1: تطور عدد سكان مراكش ووتير تزايدهم خلال القرن 20

السنـــــــــة	عدد السكـــــــان	الزيادة الاجمـــــــالية	معدل نسبة التزايد السنوي
1912	70000		
1936	190000	120000	4,25
1952	215000	25000	0,78
1960	249000	34000	1,85
1971	350000	101000	3,14
1982	488000	138000	3,07
1994	669000	181000	2,66
2004	823000	154000	2,09
2006**[1]	855000	32000	1,93

المصدر فضل الله،المرجع السابق*[2]**

[1] **-تقديرات إحصائية

[2] ***- حسب فضل الله وحسب الإحصائيات أن عدد الأوروبيين كان 6849 في 1936 ليرتفع إلى 12316 في 52 ليتناقص عددهم في السنوات الموالية للإستقلال ليتراجع إلى 8106 في 1960 ثم الى 2455 في 1971 بل حتى 1880 في 1994 ليزيد في العقد الاخير 3379 اوربي في 2004

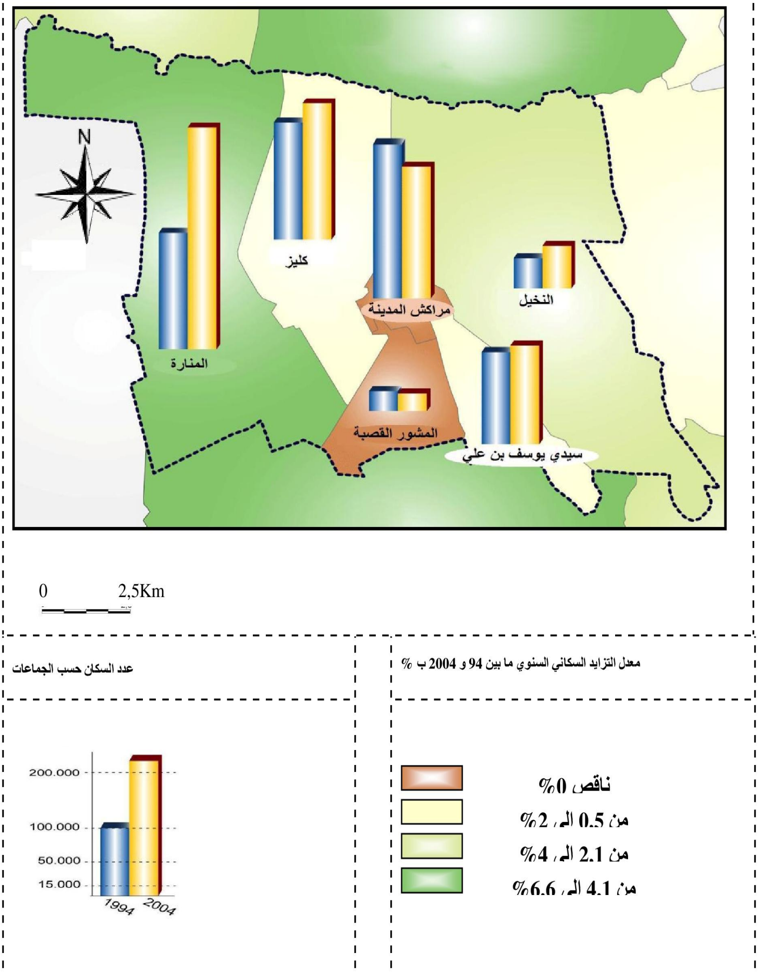
ملاحظة :إن زيادة الأرقام في الجدول حسب فضل الله ، يرجع إلى إضاف كتل سكانية لبعض الدواوير المحادية للمجال الحضري وفق كل إحصاء ، هذه الدواوير تم إدماجها في المدار الحضري من إحصاء لآخر ، وأهمها إزيكي ، عين إيطي ، المحاميد ، الفخارة والجديد هذه الدواوير كانت تضم على التوالي

يظهر الجدول أن الكتلة البشرية المضافة سنويا قد تضخمت باستمرار منذ نهاية الخمسينيات، رغم تراجع نسبة التزايد السنوي من أكثر من % 3 خلال التسعينيات إلى أقل من 2% في 2006 .

وبالتالي شهدت مراكش طفرتها الديمغرافية الأقوى خلال الثمانينيات والتسعينيات ،لتصل إلى 669000 حسب إحصاء1994 وتتجاوز هذا العدد سنة2004 ليصل 823000 (الخريطة رقم 2). لكن تحتضن تقريبا في 2006 ثلاثة أضعاف مقارنة مع سنة 1971 وضعفين مع سنة 82 . هذه الفسيفساء البشرية تؤثر طبعا في الصورة التي تحملها الساكنة عن مجالها ، فمع آختلاف أهداف التواجد بمراكش : الفرنسيين، اليهود ،القرويين، ستختلف النظرة إلى المجال بل نظرة السكان بعضهم البعض.

10965- 8813- 4449 و 3792 نسمة سنة 82 . وقد أضاف فضل الله إلى سكان مراكش 5806 نسمة سنة 1960 ثم 17483 في 71 و48686 في 82 .

خريطة1 : معدل التزايد السكاني السنوي وعدد سكان الجماعات ما بين 94 و 2004



المصدر : التصميم المديري للتهيئة العمرانية لمدينة مراكش، تقرير تشخيصي وتحليلي 2008 بتصرف

2-2 الهجرة : من الريف إلى لمدينة

كانت الهجرة الداخلية في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية على شكل قيام عدد صغير من الناس بتغيير مقر إقامتهم لكن مساهمة الهجرة الريفية في التوسع الحضري العربي السريع ظاهرة حديثة بعض الشيء[1] .ولاتعي الهجرة الداخلية الإنتقال من الريف إلى المدينة فحسب ، بل تعني جميع أشكال تغيير مكان الإقامة من مجال جغرافي إلى آخر ، وهو تغيير لفترة قصيرة يرجع بعده الفرد إلى مقر إقامته الأول .

فإذا لم تصل هذه الفترة إلى السنة ، فلن نعدها هجرة وإنما سنطلق عليها زيارة ، فهذه الأخيرة قد تكون قصيرة أو طويلة تدوم عدة أشهر ، وإذا تم تغيير محل الإقامة في داخل الحدود الإقليمية فسنسميها هجرة داخلية[2] وهذا مانقصده بالهجرة في هذه الفترة.

1-2-2 الهجرة : المغرب في تحول

لقد أدت التحولات التي عرفها المجتمع المغربي اقتصاديا واجتماعيا إلى ظهور ظروف عدم التكافؤ بين العالم القروي والوسط الحضري من حيث فرص الشغل والتجهيزات الأساس ، وتراجع الأنشطة الفلاحية . هذه الوضعية خلفت حركات تيارات هجرة للسكان القرويين نحو المدن والمراكز الحضرية .

---

[1]- مصطفى عمر التير ، إتجاهات التحضر في المجتمع العربي ، السلسلة الاجتماعية ، المؤسسة العربية للنشر والإبداع ، البيضاء : ط 1 1995 ، ص 80

[2]- مصطفى عمر التير ، إتجاهات التحضر في المجتمع العربي ، المرجع السابق ص 80.

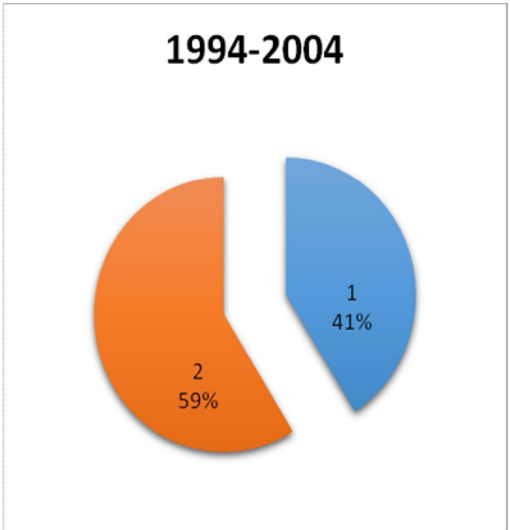
فالهجرة الداخلية ترجع إلى عوامل عدة إذ يمكن اختصارها في عاملين : عوامل الطرد وعوامل الجذب .فتمكن دراسة ظاهرة الهجرة في علاقتها مع تطور المدن وتوسع مجالها الحضري من ملاحظة أن الأرياف لم تتوقف عن فقدان جزء مهم من ساكنتها لفائدة المدن منذ بداية القرن .

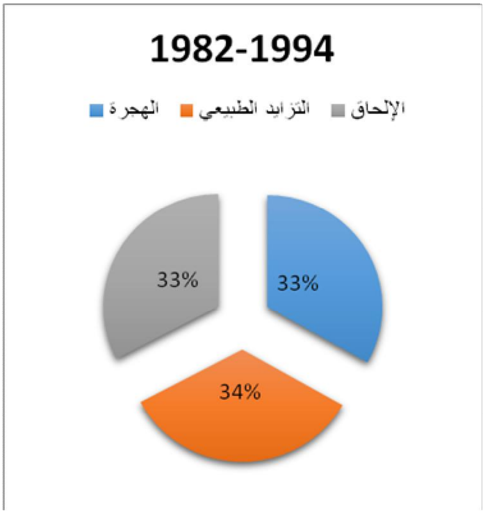
ففي الوقت التي كانت حوالي 8000 نسمة سنويا بداية القرن 20، عرف صافي الهجرة تسارعا بعد الحرب العالمية الثانية ليسجل ارتفاعا كبيرا بعد الإستقلال، فقد مر صافي الهجرة بين المدن والأرياف من 45.000 نسمة سنويا بين 1952 و 1960 إلى حوالي 193000 نسمة بين 1982 و 1994 وقدر بحوالي 106000 نسمة سنويا بين 1994 و 2004[1] .

فالهجرة إذن تساهم في زيادة عدد سكان المدن لكن هذه الزيادة بشكل متفاوت وذلك راجع لمدى جاذيتها لكن هذا لايمنعنا من القول أن الهجرة عامل من عوامل التحضر بالمدن المغربية . (الشكل رقم 1)

[1]- المغرب الممكن ، 50 سنة من التنمية البشرية وآفاق 2025، المرجع السابق

رسم بياني1 : نسبة التزايد الإجمالي للتجمع الحضري لمراكش ما بين 2004-1982





المصدر : التصميم المديري للتهيئة العمرانية لمدينة مراكش، تقرير تشخيصي وتحليلي 2008 بتصرف

لكن رغم ماقيل عن السياسة الهادفة إلى الحد من التدفق المستمر لأعداد كبيرة من سكان العالم القروي نحو المدن ، فإن الهجرة القروية لازالت مستمرة بوثيرة متسارعة فعدد المعنيين بالهجرة في الفترة ما بين 60-71 كان 743 594 و خلال العشر سنوات الفاصلة بين الإحصائين العامين للسكان والسكنى لسنتي 1971-1982 سجلت الهجرة القروية في إتجاه المدن 1261076 نسمة بمايعادل زيادة تناهز 70% وفي نفس الإتجاه ، أبانت معطيات الإحصاء العام لسنة 1994 بأن 227000 شخص غادروا العالم القروي في إتجاه المدن مابين الفترة الفاصلة بين 1 يونيو 1993 و 2 شتنبر 1994[1] ، بل سجل صافي الهجرة القروية إلى المدن مابين 94 و 2004 حوالي 106000 نسمة [2].

لقد كانت الهجرة القروية عاملا ملازما للدينامية الحضرية، منذ مطلع القرن، حيث فقدت القرى جزءا مهما من سكانها ،بحيث ارتفعت وتيرة الهجرة تدريجيا ، انطلاقا من 8000 نسمة سنويا في بداية القرن 20 مرورا ب 45.000 نسمة سنويا مابين 1952 و 1960 ، لتبلغ 126.800 نسمة سنويا مابين 1994 و 2004 أي بمعدل يناهز 300 قروي يهاجر يوميا إلى المدينة . وقد كان

---

[1]- حسن باهي " تطورات الهيكلة المجالية المغربية " ، البحث العلمي ، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية ، المجال : التجليات والإستعمالات، ع 43-44 جامعة محمد الخامس ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط 1997 ، ص ص 37-46

[2]- الإحصاء العام السكن والسكنى 94-2004

الجفاف المقرون بنقص التجهيز الجلي للعالم القروي من بين العوامل الحاسمة للهجرة نحو المدن والمراكز الحضرية غير أن الهجرة لاتسفر سوى نسبة تتراوح بين 33% و41 % فقط من النمو الحضري[1] .

2-2-2 مراكش داخل الجهة

بغض النظر عن إيجابيات وسلبيات الهجرة القروية فالإحصائيات تبين بطريقة لاتترك مجالا للشك بأن الظاهرة أصبحت تشكل ، ولمدة طويلة ، إحدى المكونات والواجهات الأساسية للهيكلة المجالية المغربية . فقد عرفت جهة مراكش تانسيفت الحوز تحولات عميقة لها علاقة بالهجرة القروية . فبالنظر للطابع القروي الذي تتميز به الجهة حيث لاتتجاوز نسبة السكان الحضريين 39% ، فإنه مابين 1975-1982 كانت حصيلة ضعيفة. فقد استقبلت ، حسب المرصد الوطني للهجرة، ما يقارب 43.116 نسمة في حين غادرها 107.448 آخرين وهو مايقارب 64.332 نسمة غادروا الجهة وعلى مستوى ولاية مراكش ففي 2003، استقبلت % 63 من الوافدين المهاجرين وساهمت ب % 40 من النازحين بفارق يقدر ب [2] % 23 الشيء الذي أدى بظهور تجمعات ودواوير سكنية .

[1]التصميم المديري للتهيئة العمرانية لمدينة مراكش، تقرير تشخيصي وتحليلي 2008

[2]- المرصد الوطني للهجرة ، أثر الهجرة على العقار بجهة مراكش تانسيفت الحوز 2003

لقد ساهمت الهجرة في ظهور دواوير وتجمعات سكنية كان لها الأثر في توسعها العمراني ونموها الحضري في مراحل وعلى الرغم من العدد المتوسط من المهاجرين الذي تستقطبه مراكش مقارنة مع باقي المدن ، فإن الهجرة بها قد ساهمت في نمو تجمعات سكنية بالضواحي وعلى محاور الطرق ، وكانت لهذه التجمعات السكنية تأثير على مرفولوجيا مراكش الشئ الذي أدى إلى ترقية مجالات جديدة لتلبية متطلبات النسق الحضري المراكشي.

3-2 المدار الحضري وترقية المجالات

لقد دفع هذا الضغط السكاني إلى الضغط طبعا على المرافق والبنيات التحتية ورافقه نمو الحاجيات من الخدمات والمساحات الإضافية التي كانت وراء امتداد المدينة على حساب الحوض العقاري المجاور لها وذلك بتوسيع المدار الحضري(**الجدول رقم 2**) كلما استدعت سياسة التعمير ذلك.

الجدول 2: تطور المجال الحضري لمدينة مراكش بين 1971 و2004

السنوات	مساحة الحيز الحضري	عدد السكان	المساحة المأهولة فرد/ م2
74-71	2000	333.000	60,6
86-82	2800	440.000	63,6
88-86	3700	560.000	66
90-88	4500	600.000	75
94-90	18400	966.000	
04-94		823154	
14-04			

لقد رافق هذا التزايد و الضغط الديموغرافي الذي تعرفه المدينة، توسعا علي مستوى المدار الحضري. ففي سنة 1945 مثلا، كانت المدينة تحتل مساحة لا تتعدى 2100 هكتار ، وفي سنة 1989 تعدى المدار الحضري للمدينة 3700 هكتار.أما في سنة 1992 توسعت هذه المساحة لتصل 18400 هكتارا . رقم فاق التوقعات المرتقبة من طرف التصميم المديري للتهيئة العمرانية للمدينة في افق 2010، التي كانت هي 1500 هكتار.

3- مراكش ومراحل التوسع الحضري

كان للنسيج العمراني العتيق (المدينة القديمة) أثر على أولى مراحل التوسع الحضري لمراكش ، لما عرفه من إضافات إبان فترة الحماية . عرفت المدينة في هذه الفترة تعديلات وإضافات على مستوى النمط المعماري مبني على نمط وتصور يعتمد تطبيق مباديء تعمير تسمى بالحديثة . هذه الضرفية تميزت بإبقاء النسيج العتيق. وقد استمر توسع مراكش وفق سياسات وطنية للتعمير منذ الإستقلال إلى الآن . ولعل تقسيمنا الزمني ، التاريخي هذا تكمن أهميته في إبراز العوامل المساعدة على توسع حضري مراكشي متفرد .

أ- الفترة الإستعمارية : مع أولى لحظات التوسع

تميز أدخل مجيء الحماية على المغرب سنة 1912 ، تحولات على المستوى الإقتصادي والإجتماعي والسياسي لا على مستوى المدن ولا القرى . مست التحولات نمط الإنتاج وبنياته ، نظام الملكية ، وأساليب الإنتاج الشيء الذي انعكس على المجتمعات الفلاحية .

1- المرحلة الإستعمارية 1912-1955

مراكش ، تجمع تقليدي يناهز 100.000 نسمة لم يكن في بداية القرن العشرين إلا علاقات محدودة مع العالم الخارجي يتموضع وسط الحوز .

ستشهد مراكش صدمة مع وصول أولى أفواج المعمرين : منذ 1907، عرفت مراكش مجيء أعداد من الفرنسيين الذين عمدوا إلى شراء الأراضي . لكن مع دخول الحماية سنة 1912 ، ستعرف مدن المغرب ، ومن بينهم مراكش تحولات عميقة . رغم أن مراكش لم تكن وضعيتها كوضعية مدن الساحل الأطلنتي حيث وثيرة التعمير كانت سريعة وعميقة . لكن ومع ذلك شهدت الحدث الأهم : خلق المدينة الجديدة ونسيان لمدينة هذه الأخيرة أصبحت مكتظة الشيء الذي سيدفع إلى نشأة ظاهرة العمران التلقائي والفوضوي [1] داخل الأسوار(الصورة رقم1) وخارجها.

---

[1] -mandleur A « Croissance et Urbanisation de Marrakech , Opcité , p 42

الصورة1 : إحد أنماط مساكن الطبقة الفقيرة داخل المدينة العتيقة



المصدر: كلود ميشيل، مراكش من قرن إلى قرن، 2003

1-1 السياسة الحضرية ومبادئ التعمير الكلونيالي

أ- *المبادئ الثلاثة للتعمير الكلونيالي :*

ابتداءا من 1913 ، وتماشيا مع مبادئ الجينرال ليوطي، عمد بروست، إلى إتباع سياسة تعمير بالمغرب مبنية على 3 مبادئ أساسية :

- خلق مدن جديدة كفاس ومكناس ومراكش سيتم تطوير نمط تعمير حديث لفائدة المعمرين الأوربيين ويتم استغلال أراضي المخزن وأراضي . سيعمد الإداريون إلى إيلاء أهمية لهذه المدن التي ستمكن من تثبيت واستقرار السكان.
- فصل المدن الأوربية عن لمدينة بحيث يجعل بينهما مجالات فارغة وواسعة . لقد كان الهدف من هذه السياسة خلق استقلالية نسبية لكل مجموعة من السكان بسياسة

ظاهرها احترام خصوصية عادات وتقاليد المغاربة لكن باطنها ، أو على الأقل ماتحولت إليه فيه نوع من الميزبين الكيانين .

- الحفاظ على الطابع التقليدي للمدن المغربية . وهنا أيضا كانت الدوافع في ظاهرها ميولات نحو الإستيتيقا ، لكن ربما أيضا ميولات إلى إستراتيجية العزل من أجل الأمن[1] .

ولقد اعتمد هذه السياسة على آليات لإنجازها معتمدين على وثائق التعمير : المخطط التوجيهي للمدن الجديدة ، مخططات التهيئة وتعزيز هذه الوثائق بالجانب التشريعي : ظهير 16 أبريل 1914 الذي سيخول للإدارة إمكانية خلق التجزئات وإنشاء الطرق . كل هذا من أجل تحديد الإطار الذي تتم فيه تطور المدينة.

---

[1] -Opcité , p 42

الصورة2 : : صورة تذكارية بريدية تمثل منظرا عاما لمراكش سنة 1915
ويظهر فيها الحي العسكري و المنطقة التي اختيرت لبناء المدينة الجديد



المصدر: كلود ميشيل، مراكش من قرن إلى قرن، 2003

2-1 خلق المدينة الجديدة :

شكلت الوضعية العقارية للمدار المختار لإنشاء المدينة الجديدة بمراكش ، ميزة أكثر من فاس ، لخلق المدينة : إن كل الأراضي المحيطة بمراكش كانت في الملك الخاص للدولة . لقد كانت أولى بدايات بناء التجزئات سنة 1913 وقد وصل عدد السكان 1500 نسمة في المركز الخاص بالأوربيين عشر سنوات بعد ذلك[1] (الصورة رقم2).

تم اختيار موقع انشاء المدينة الجديدة كليز غرب لمدينة على بعد حوالي كلم بالقرب من أولى التكنات العسكرية المشيدة من طرف سلطات الحماية. و تم إحداث المدينة ، كما سبق الذكر على أراضي تابعة

[1] -idem p 43

للدولة. كان أول حي سكني عبارة عن شبه دائرة و محاط بالبنايات الإدارية و طرق مجهزة و مساحات خضراء و قد تم ربط هذه النواة بلمدينة بواسطة طريق طوله 1300م في إتجاه موقع الكتبية بضمان ولوجية سريعة وسهلة إلى ساحة جامع الفناء موقع المدينة الإسلامية التاريخي[1].(الصورة3)

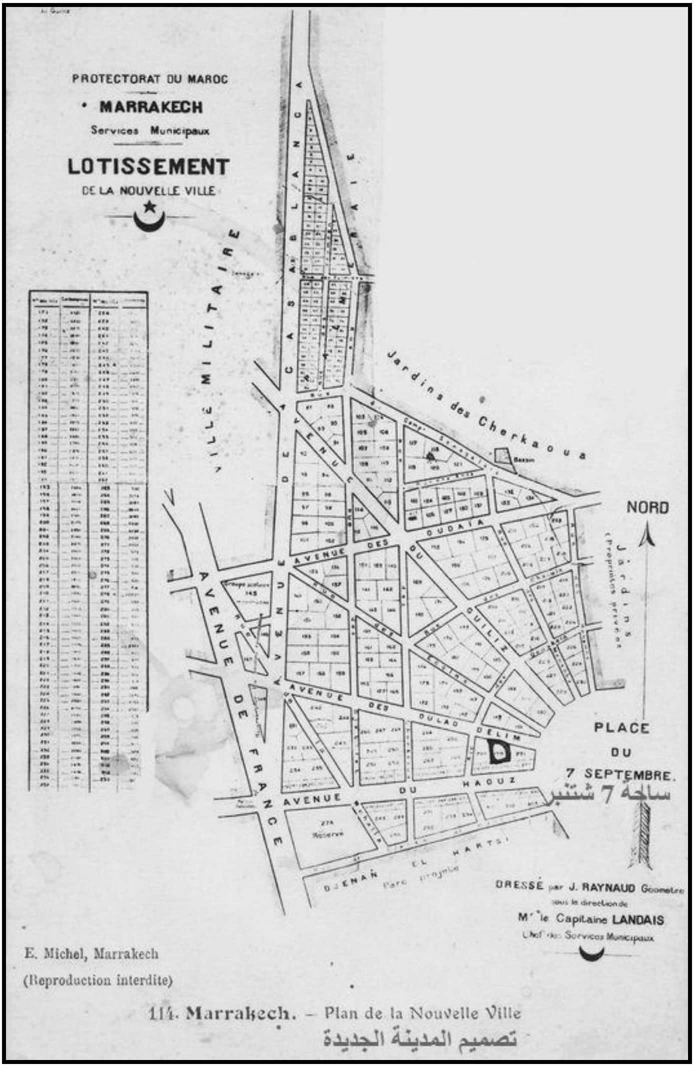
لقد عرفت كليز حركة عمرانية متسارعة شهدت بناء بنية تحتية ،و خدمات إدارية وتجهيزات حضرية إضافة إلى مرافق سياحية و ثقافية و رياضية أخرى. وقد عرفت نتيجة لما سبق ، إقبالا من طرف المعمرين الفرنسيين واكبه تزايد سكاني متسارع. لكن بسبب الأزمة الإقتصادية و الحرب العالمية ما بين 26 و سنة 1945 ، عرفت تراجعا على مستوى إنتاج السكن لكن مع تزايد الطلب الشيء الذي أدى إلى بروز مشاكل مرتبطة بسوء التدبير و بعدم توفر السكن لفئات عديدة من المعمرين المتوافدين على المغرب[2] .

ستعرف المدينة الأوربية ابتداءا من 1946 توسعا عمرانيا ملحوظا. فقد أخدت حركة البناء مستوياتها القصوى مع التجزئات السكنية لشركة العقارات و البناء لمراكش: تجزئة النخيل و العودة إلى ليفرناج بعد إيقاف الأشغال به إبان الحرب[3] . كما عرفت هذه الفترة بناء للوحدات الصناعية و تشييد الحي العسكري و المطار.

---

[1] -, idem , p 43
[2] -, idem , p 44
[3] -idem , p 44

الصورة3 : : تمثل تجرئة المدينة الجديدة (كليز) كما هو مبين في تصميمها إبان الإستعمار



http://mangin2marrakech.canal.comالمصدر

كان للسياســة الفرنسيين الحضرية غير القــادرة على تلبية الحاجيــات المتزايدة من السكــن والتجهيزات و الخدمات. وكذا التدابير المعمول بها من طرف ليوطي و بروست و التي خصت اقامة نموذج معماري على النمط الأوربي(مجموعة الصور رقم 4) ، آثار سلبية على المجال المراكشي بحيث أدت إلى تفاقم البناء العشوائي و تناثر الأحياء الهامشية و قد أدت كذلك إلى تهميش " لمدينة " بتركها عرضة للتوسع العشوائي بسبب التزايد السكاني الكبير . و سيترتب عن هذا الوضع تجاوز الفائض السكاني لأسوار المدينة العتيقة نحو الداواوير العشوائية و التجمعات الهامشية فالمدينة تمنحك

انطباعا عند عدم التناغم المجالي . فرغم جدتها فالمدينة الجديدة آفتقرت للمزيد من الإعداد و أما جماليتها فيشوبها نقصان على المستوى النفسي و الأهم على المستوى الإنساني[1].

[1] -idem , p 45

صور تبين التحول المجالي لشارع محمد الخامس منذ فترة الإستعمار إلى الآن

الصورة1 : تظهر الصورة ممرا ترابيا وسط النخيل و المؤدي إلى الكتبية



تظهر الصورة ممرا ترابيا وسط النخيل و المؤدي إلى الكتبية إبان الإستعمار وقبل إنشاء الطريق المعبدة .ويظهر حائط مبني من التراب على الجانبين

الصورة2 : تعديل ليصبح ممرا حجريا



بعد ذلك ،عدل ليصبح ممرا حجريا وضعت على جناباته بعض الأشجار واجتثت النخل الآيل للسقوط و عدل جانب الطريق لمرور عربات نقل الأحجار.

الصورة3 : تظهر اتخاذ الممر هيأة طريق



اتخذ الممر هيأة طريق مع بقاء جانبه الأيسر ذي الإتجاه الواحد والمؤدي إلى الكتبية. اجتثت بعض النخل لكن عددا كبيرا من الأشجار تم غرسه

الصورة4 :تظهر أن الطريق أصبحت شارعا.وتم اعتماد إنارة معلقة



الطريق أصبحت شارعا.لقد تم اعتماد إنارة معلقة .في هذه المرحلة اختفت الممر الجانبي رغم اعتماد وسائل أخرى لنقل مواد البناء عوض العربات؛

الصورة5 :بدأت الطريق تتحول إلى ملتقى طرق مع أشارة مرور



بدأت الطريق تتحول إلى ملتقى طرق مع أشارة مرور بقي تفس باقة النخل :أربع يمينا ونخلتين يسارا مع بداية إنشاء بناية مكان الحائط

الصورة3 : تظهر اتخاذ الممر هيأة طريق



اتخذ الممر هيأة طريق مع بقاء جانبه الأيسر ذي الإتجاه الواحد والمؤدي إلى الكتبية. اجتثت بعض النخل لكن عددا كبيرا من الأشجار تم غرسه

الصورة4 :تظهر أن الطريق أصبحت شارعا.وتم اعتماد إنارة معلقة



الطريق أصبحت شارعا.لقد تم اعتماد إنارة معلقة .في هذه المرحلة اختفت الممر الجانبي رغم اعتماد وسائل أخرى لنقل مواد البناء عوض العربات؛

الصورة5 :بدأت الطريق تتحول إلى ملتقى طرق مع أشارة مرور



بدأت الطريق تتحول إلى ملتقى طرق مع أشارة مرور بقي تفس باقة النخل :أربع يمينا ونخلتين يسارا مع بداية إنشاء بناية مكان الحائط

المصدر http://mangin2marrakech.canal.com

2- المدينة العتيقة SOS

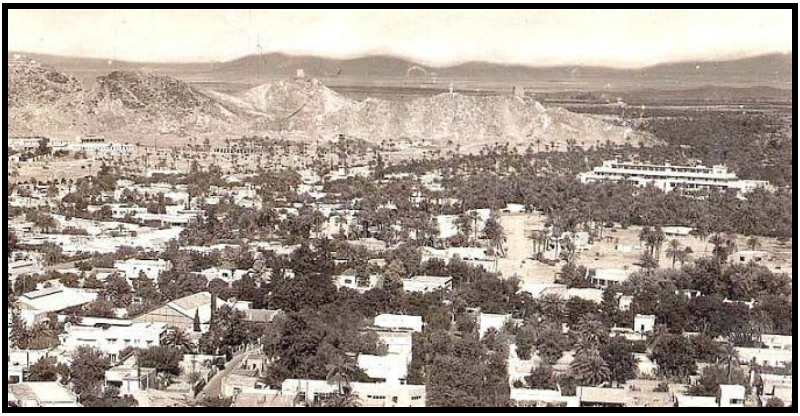
شكلت مراكش المركز الحضري الوحيد في الجنوب المغربي ، قوة جذب للقرويين ابتداءا من 1925 الذين تمركزوا بالمدينة العتيقة.

1-2 ***المدينة العتيقة و استقرار الجيش الأوربي***

مع مجيء الجيش الفرنسي استقر المعمرين الأوائل بالمدينة العتيقة على غرار ما فعله قبلهم بعض التجــار والدبلوماسيين الأوربيين (35 دبلوماسي منهم 18 ألمان) فطوروا بعد ذلك أعمالهم و ساعدهم في ذلك طابع مراكش المستقر والأمن. فتمركزوا حول جامع الفنا وعلى طول المحاور الهامة: زنقة باب دكالة، لمواسين، زنقة رياض الزيتون القديم... و بالقرب منهم، تم إنشاء حي إداري على أرض الدولة داخل تجزئات و قد تم بناء بنيا ت تحتية على النمط الموريسكي الجديد : مستشفى، مستوصف مدرسة فرنسية عربية، غرفة التجارة ... . و قد شكل هذا الحي على امتداد داخل المدينة العتيقة منطلقا من جامع الفنا إلى باب الرب بحيث شغر المثلث : عرصة المعاش إلى شمال القصبة[1]

[1] -Mandleur , idem p 45

الصورة4 : المستشفى المدني وبعض المساكن ذات النمط الأوربي



المصدرhttp://mangin2marrakech.canal.com

2-2 توسع عشوائي

منذ 1955 عرفت المدينة اختلاء معظم مجالاتها غير المبنية المستعملة كحدائق " رئة المدينة" لقد شهدت شراء وتسييج الأغنياء المغاربة لأراضيهم الفلاحية لزيادة عائداتهم. وإذا كان المركز لم يعرف هذه الظاهرة فإنه على العكس من ذلك عرفت بعض الأحياء تحولا سريعا . تجزئات عرصة اهيري، باب تاغزوت ، أسول شمالا في الجنوب عرصة الحوتة، عرصة المسفيوي، عرصة البركة ، باب ايلان، كما شهدت القصبة و الملاح اكتضاضا كذلك بحيث عمد اليهود إلى الإنتقال من أحيائهم إلى أحياء أخرى في المدينة القديمة[1].

[1] -idem p 45

كما تم استعمال " الفنادق" كأولى الأماكن التي عرفت سريعا و قد اعتبر الفندق ملجأ لكل الأصناف مـــن العمالـــة والبطالة والمتسولين.

3- ظهور الدواوير العشوائية

بعد الفنادق ، اعتبرت الدواوير العشوائية المرحلة الثانية من تعمير مراكش. لقد كانت الحاجة إلى اليد العاملة ملحة لأجل العمل في البنيات التحتية المبرمجة من طرف الحماية. ثانيا ظهرت هذه الدوواوير بسبب الإرتفاع المبالغ فيه لأثمنة الأراضي داخل المدينة العتيقة و أزمة السكن. لقد ظهرت بذلك دواوير عدة : دوار الكدية ، سيدي مبارك ، القصر ثم سيدي يوسف بن علي. و على أهمية هذه الظاهرة ، فإننا سسنختار الحديث عن نشأة و تطور سيدي يوسف بن علي لما فيه من علاقة بموضوع بحثنا.

1-3 كليز والبناء السري

إن منطقة كليز هي أول منطقة انطلقت بها منذ 1920 البناء السري فقد استقر عدد من سكان البادية الآتين من الحوز ، السراغنة والرحامنة ، بهذه المنطقة. كان كليز منطقة جذب لهم : ورش للطرق ومحجر : و من هذه المنطقة تم نقلهم إلى هضبة الكدية بواسطة العسكريين قصد إخفائهم عن أنظار المارة من طريق البيضاء.[1]

---

[1] -idem p 47

2-3 دوار سيدي يوسف بن علي.

لقد اعتبر سيدي يوسف بن علي« الصالح » كعامل مهم في استقرار و تثبيت السكان حوله. يتموقع جنوب المدينة العتيقة نشأ الدوار بعد 1926 حول نواة مكونة من النوالات و حمل اسم دوار البلدية.

لقد تطور 20 سنة ، خصوصا بين 1939 و 1943 سنوات إلى ال في البوادي المجاورة لكن في 1948 تسبب فيضان وادي سيل في تهديم معظم البنيات الخفيفة. فكان لهذه الواقعة تأثير على البلدية للتفكير في مخطط تهيئة لبناء المباني المهدمة. لكن تباطؤ المسطرة والتطبيق الفعلي للمشروع، إضافة إلى فقدان المنكوبين لصبرهم، كان وراء إعادة بناء الدواوير عشوائيا لكن فوق أراضي الدولة و الخواص (شركة لوتيمار) لقد وجدت الإدارة نفسها عاجزة على التعامل مع هذه الخلايا " لكن تدابير 1954 التي الحقت الدوار بالدائرة الجنوبية للمدينة ابطأت من حدة التطور العشوائي لسيدي يوسف بن علي . لقد وصل عدد السكان سيبع فجر الإستقلال 10 000 نسمة مكونين خصوصا من مربي الماشية الأبقار الحلوب.

كان سيدي يوسف بن علي عبارة عن تجمع سكاني مكون من مساكن من تراب تفتقد إلى كل نوع من الإعداد : المصارف الصحية الطرق الماء الصالح للشرب...

ب- فترة ما بعد الاستقلال

ترك الإستعمار تباينا مجاليا واضحا بمدينة مراكش. لقد عرفت المدينة حسب محمد الفايز[1] – حركة عمرانية متزايدة خصوصا بين 1956 و 1976 منزل تضم 2083 عائلة و ساكنة تتجاوز 10.000 نسمة في الهكتار.

لقد كان كمن نتائج ارتفاع الكثافة السكانية داخل المدينة القديمة، تصدير فائضها إلى المناطق المجاورة و التي يعتبر سيدي يوسف بن علي امتدادا حقيقيا لها.

1- سيدي يوسف بن علي في توسع

عرف حي سيدي يوسف بن علي بناءا متواصلا وعشوائيا أدى إلى توسعه على حساب أراضي الدولة والخواص و قد قدرت المنازل المبنية سنة 1955 حوالي 1768 منزل يضم 2083 عائلة وساكنة تتجاوز 10.000 نسمة. وضل سيدي يوسف بن علي يصنف كمجتمع سكني عشوائي إلى حدود 1958 حيث سيدمج ضمن المدار الحضري للمدينة واعتباره دائرة بلدية جديدة بساكنة وصلت 20.000 نسمة لينتقل إلى 2700 نسمة

[1] -Mohamed el faiz , Marrakech : patrimoine en peril ed astes sud , paris 2002 p,64

سنة 1962 كان سيدي يوسف بن علي عبارة عن قرية أكثر منه حضري لكن منذ 1963 قامت البلدية ببعض الإعداد من قبيل الكهرباء وبعض التجهيزات. وكالمدينة العتيقة، عرف سيدي يوسف بن علي سكانية عالية جعلت منه مدينة خارج أسوار المدينة.

ومن خلال بعض المعطيات ، يلاحظ الوتيرة التي تضاعف بها السكان ، ففي 1971 انتقل عدد السكان من 53.000 نسمته ليصل إلى 85000 نسبة سنة 1982 بزيادة 8 %60 . و نتيجة لهذه الزيادة السكانية المرتفعة ، إضافة إلى نقص في التجهيزات الأساس و ظروف عيش متدهورة ، عرف سيدي يوسف بن علي مشاكل اجتماعية وصلت إلى قلاقل أمنية سرعت بأخد الحي بعين الإعتبار من طرف الإدارة ضمن المخططات الحضرية.

2- المدينة الجديدة

إلى حدود نهاية الإستعمار ، ضم كليز الجالية الفرنسية فقط. لكن بعد الإستقلال اصبح بالإمكان للمغاربة من الإستقرار بهذه المدينة بعد رحيل الفرنسيين. لكن المغاربة البورجوازيين من ساكنة مراكش، القادمين من المدينة العتيقة عمد إلى الإنتقال إليها. وقد زاد من وثيرة الحركة العمرانية بالمدينة الأوربية، انتقال الثقل الإقتصادية نحو هذه الأخيرة و ذلك نظرا للخدمات الجديدة التي أصبح يوفرها من تعليم و خدمات إدارية المركزة حتى فجر الإستقلال .

لقد وصلت مساحة كليز سنة 1960 حوالي 1320h، ووصل عدد المغاربة الذين استقروا بها في نفس السنة 6500 مغربي مسلم و 720 يهودي. في حين كان عدد الأجانب 6000 مقيم أغلبهم فرنسيين. لكن الحي العسكري و الحي الصناعي هما الحيان اللذان عرفا دخول عدد من المغاربة بنسب تتراوح بين 50% و 75% في مقابل الأحياء الموجودة في مركز كليز التي حوت ما بين 25% إلى 30% من المغاربة فقط و نخص بالذكر حي ليفرناج.

وتتوفر المدينة الأوربية على مكونات سياحية وسكنية وإدارية ومختلف الخدمات تجعل منها مدينة متوازنة ذات ثقل حضري ومعماري يعتبر نقطة جدب لتطلعات بعض الساكنة المسلوبة بالمعايير الأوربية.

3- الدواوير الهامشية : *رصيد عقاري كآحتياطي للتوسع*

تتوفر مدينة مراكش على رصيد وثائقي تعميري هام ومتنوع، حاولت التحكم من خلاله في توسعها في إتجاهات الشرق والشمال الغربي والجنوب الشرقي . لكنها اعتبرت الضواحي والدواوير المجاورة بها خزانا للأراضي تتوسع عليها وتحدد المساحة التي يمكن اقتطاعها لأجل ذلك[1] . وفي نفس الوقت اعتبرت تلك الضواحي مشكلا للمدينة وجب معه حل معضلته إما بترحيل

[1]-" د. حسن المباركي ، المجال شبه الحضري بين المنظور التقني الإداري والتحليل الجغرافي : حالة الدواوير الهامشية بناحية مدينة مراكش " في موسى كرزازي ، محمد أيت حمزة (تنسيق)، الجغرافية التطبيقية في المغرب ، سلسلة ندوات مناظرات رقم 122 ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، ط 1 ، المحمدية ، 2005 ، ص ص ، 29-48 .

سكانها وتجزئة أراضيها لفائدة الطبقات المتوسطة ، أو تجهيزها جزئيا مع اقتطاع قسم من أراضيها لتجزأ بدورها[1] .

وبآستعمال المؤشر الزمني التاريخي في تصنيف التجمعات البشرية التقليدية لإبراز التطور الزمني لظهورها والعوامل المساعدة في ذلك أوضع حسن المباركي ، مراحل ظهور الدواوير المحيطة بمراكش والتي مافتئ يدمج عدد مهم منها داخل المدار الحضري . فمنذ القرن 19 ، تكونت بعض الدواوير بفعل ترحيل عدد كبير من الأسر من قبائل متفرقة لإقامة المشروع المخزني الصناعي (مسفيوة ، زمران ، المنابهة) حيث يعتبر دوار بوعكاز، الذي أصبح ينتمي للمجال الحضري الآن ، نموذجا لها، الذي يشبه قصرا صحراويا قريبا من المدينة[2] ويعتبر المحاميد دوارا سكنته جماعة من الجنوب ، سكانه احترفوا مهنة البناء في القصر السلطاني، تلت هذه الفترة ظهور دواوير بعد 1920، كما تم ذكر ذلك في المحور السابق، ارتبطت بتدهور المدينة والتوسع الفوضوي للمجال المبني واختفاء الأراضي الفارغة والمستغلة بالبساتين

الكل أدى إلى استقرار المهاجرين بالقرب من الضيعات والمقالع وهوامش المحاور الطرقية . وقد توسع بعضها بسبب الدور الديني الذي لعب وظيفة استقطاب الريفيين والإستقرار بجانب الأضرحة .

---

[1]- د. حسن المباركي ، المرجع السابق ، ص 31.

[2]- المرجع السابق ص 32.

لكن في عهد الإستقلال ستظهر دواوير جديدة ملتصقة بالمدينة مباشرة :

- دواوير كضاحية أولى كايزيكي وعين إيطي .
- دواوير تبعت إتجاه المنطقة الصناعية غرب المدينة سيدي امبارك ؛
- دواوير تجاوزت وادي إسيل واستقرت شرق المدينة .

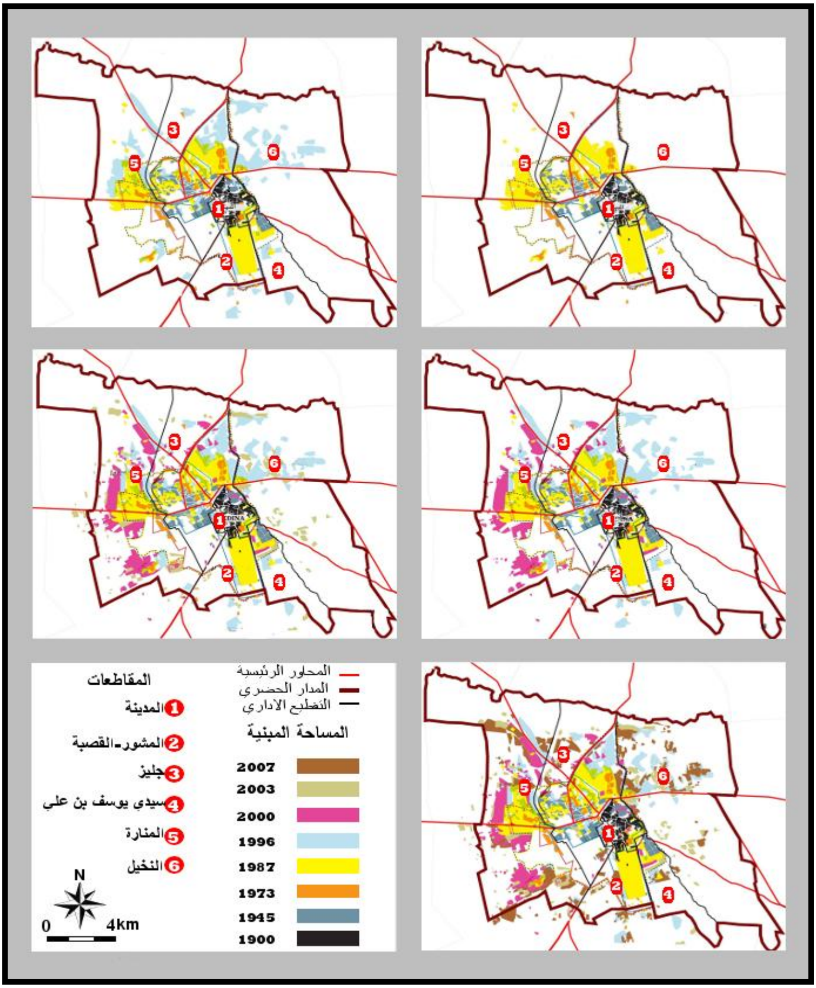
إن وضعية هذه الدواوير لم تمنع من فرض وجودها وتحولها تدريجيا إلى أحياء سكنية معترف بها رسميا . رغم أن مواضعها تطرح مشاكل طبيعية وبيئية كبيرة بالنسبة للسكان والمدينة نفسها.[1]

إن وضعية نسبة مهمة من الدواوير يجعلها أقرب إلى القرى الريفية منها إلى دواوير مجاورة للمدينة الشيء الذي دفع السلطات إلى الشروع في هيكلة هذه التجمعات بشكل تدريجي . لقد كان الهدف من هذه الهيكلة هو تجهيز الدواوير بالطرق ، المسالك ، الربط الكهربائي، شبكة الصرف الصحي إلى جانب الخدمات الإجتماعية كما نجد دواوير ثم إحاطتها بتجزئات كدوار احمر الذي تم ترحيل سكانه حيث كان محاطا بتجزئات أمرشيش، البديع، إيسيل والقصور.

[1]- نفسه ص 37.

إن هذه الفسيفساء ، أثرت إلى حد ما في النسيج الحضري الذي أصبح متباينا وخليطا من الأشكال العمرانية المتنوعة . وعلى الأقل يمكن الحديث عن التأثير من حيث إدراك المشهد الحضري .
إن الحديث عن مجال حضري مراكشي يستدعي بعض التريث ، لكون هذا المجال يتميز بالدينامية إذ ما إن يحدد المدار الحضري سنة حتى يتم توسيعه لاحقا وفق دينامية مراكش الإقتصادية والإجتماعية ، مما يطرح السؤال حول مدى دينامية تمثلات الساكنة لهذا المجال وبتواز مع دينامية توسعه ،دينامية تدرجت حسب الحاجيات السوسيو اقتصادية والسياسمجالية لتتخذ منذ 1900 المشهد الخرائطي التالي (الخريطة رقم2

خريطة 1 : توسع مراكش منذ 1900 إلى 2007



إطار الخريطة :مخطط التهيئة الحضري. التركيب عمل شخصي

خاتمة

بسبب الوزن الديموغرافي (1 / 3 من سكان المنطقة ، و 10 ٪ من مجموع سكان المغرب) ، وإمكانياتها الاقتصادية (السياحة ، والتجارة ، والحرف ، والصناعات التحويلية ،...) ، والتراثها المعماري الغني ، وإمكانياتها الطبيعية والثقافية(التاريخية والاستعمارية والعمارة ، والنخيل ،...)، احتلت مدينة مراكش ، و على الدوام ،مكانة خاصة بين تراتبية مدن المغرب ككل. كما ظلت على اتصال وثيق مع المحيطة بها بحيث لا تزال بالنسبة لها سوقا حضرية كبيرة ، ورشة العمل الرئيسية وأهم سوق للشغل.

وعلاوة على ذلك ،و لما لها من مرافق خاصة بالتعليم العالي ، تتمتع مدينة مراكش ، بتأثير يتجاوز الجهة. وأيضا من خلال بنيتها التحتية للسير والجولان ، فمراكش تهيمن على المستويات ولوجيتها الصعيدين الإقليمي والوطني: الطرق ، والطرق السريعة وشبكة السكك الحديد على. وأيضا ، يمدها مطارها الدولي، الذي يعتبر ثاني مطار سياحي في المملكة، ،بالنافذة على العالم.

وفعلا،فصورة مراكش اليوم تتجسد في كونها توجه سياساتها الى السياحة.ومن خلال تطويرهذه الواجهة يمكن لمراكش أن تعزز من قدرتها على التفاوض على مكانتها ، ليس فقط باعتبارها مدينة- عاصمة الجهة ، ولكن أيضا بوصفها مدينة عالمية.

عتبة الجزء الثاني

رغم بقائها قطبا مركزيا لجذب لسكان الأرياف، والحضر والسياح على السواء، فإنها لا تعتبر على المستوى البنيوي وحدة منسجمة بحيث انقسمت إلى سلسلة من الكيانات الحضرية المتباينة و التي يمتد بعضها إلى المناطق (péricentraux)المحيطة بالمركز بل إلى المناطق الضاحوية.

وتعتبر من المجازفة الفكرية الآن، أن نقوم بتحليل مجال مراكش انطلاقا فقط من المنطق الداخلي للثنائية مركز/ محيط بمعنى اعتبارها كمدينة مركز في مقابل محيط أو مجالات محيطة، لكن يجب اعتبارها كمجموعات حضرية تتمتع بمنطق داخلي خاص وباستقلالية نسبية.

- المجموعة الأولى: تتكون من كل من المدينة العتيقة ، التي تعتبر قلب المدينة الحضري ، باعتبارها المركز التجاري والحرفي ، وكمجال لتلاقي كل الإنسيابات، وتتكون كذلك من امتدادها خارج الأسوار: سيدي يوسف بن علي ، وهو في السابق حي في هامش المدينة ، كان عشوائيا في البداية ، والآن مدمج ومهيكل.
- المجموعة الثانية: تتكون من المركز الجديد ، هو مجال ممتد أكثر الى الغرب ، وهومجال السياحة، والفنادق، ولكن أيضا مركز مراكش الجديد. منبثق من الحي الاستعماري السابق ، ويشمل كليز حيث تهيمن العمارات والأنشطة الثالثية ،

ويشمل كذلك الحي الشتوي ، تقريبا، ذي المورفلوجيا الكاليفورنية و كذا مركز الأعمال الجديد .إضافة إلى هذه المكونات ،ينضاف إلى هذه المجموعة الثانية المنطقة الصناعية سابقا، والتي تضم محطة السكة الحديدية والمجمعات التجارية والخدماتية.

- المجموعة الثالثة وتشمل المنطقة الممتدة من الشمال الى الغرب. انها مخصصة للطبقة المتوسطة، لكنها تشمل جيوبا سكنية ميسورة.وفي الحين نفسه، تعرف تواجد دواوير قديمة تخضع شيئا فشيئا للتقنين : الحي الجامعي الشمالي ، حي أمرشيش وأيضا كالتوسع الأخير للمسيرة أو الحي العسكري المتخذ من جبل كليز ضهيرا لها.
- المجموعة الرابعة ،يشمل منطقة واسعة شمالها الشرقي مفتوح لتعمير على شكل دواوير،إقامات فاخرة،مركبات سياحية ممتدة على مساحات واسعة لكن تتميز بمجال مبني ضعيف.الكل يكون قوسا واسعا يصل جنوبا إلى طريق فاس.

إنها بنية معقدة وشاسعة ومتنوعة وغنية. معقدة بنمط اشتغالها،شاسعة بامتدادها ومتنوعة بسكانها وغنية بالبصمات التاريخية التي خلفها عليها المتعاقبون على تسييرها . فهل ياترى بإمكان الذهن إن يحتويها بكل ما قلنا عنها ؟ أم أن المسألة تستدعي ميكانزمات خاصة تجعل من هذا المجال مستبطنا من طرف ساكنيه، رغم شساعته

المساحية ورغم ذاكرته الخاصة ورغم سيرورة تكوينه، إلى أن أصبح على الشكل الذي هو عليه؟

للجواب على هذه التساؤلات ، نقدم هذا المجال من خلال تمثلات ساكني أحيائه. فما هي مقدمين تمثلات ساكنة اقدم الأحياء خارج السور،حي سيدي يوسف بن علي.

بيبليوغرافيا شاملة للسلسلة

مراجع باللغة عربية

معاجم

- ابن منظور، لسان العرب، جذر مثل، المجلد الرابع عشر، دار صادر .ط4 ، بيروت، لبنان، 2005
- جميل صليب، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون

مؤلفات

- مصطفى عمر التير، إتجاهات التحضر في المجتمع العربي، السلسلة الاجتماعية ، المؤسسة العربية للنشر والإبداع، البيضاء، ط 1 1995
- ماهر الشريف :مقدمة المترجم ، كاستوريلديس، كورنيليوس، تأسيس المجتمع تخيليا ، دمشق ، دار المدى 2003 ،ص7
- شاكر عبد الحميد، عصر الصورة: السلبيات والإيجابيات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 2005
- شاكر عبد الحميد ،الخيال من الكهف إلى الواقع الإفتراضي، سلسلم عالم المعرفة العدد 360 ، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الاداب، الكويت 2009
- تقرير الخمسينية اللجنة المديرية ، المغرب الممكن ، إسهام في النقاش العام من أجل طموح مشترك ، مطبعة دار النشر المغربية ، الدار البيضاء 2006

مقالات

❖ أنطوان بايي، " المجال والتمثلات الذهنية"، الزاهي.ف.، ترجمة، البحث العلمي،مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية،ملف المجال:التجليات والإستعمالات، جامعة محمد الخامس،العدد43-44 1997،

❖ الحلايسي أ.،" تأملات في مفهوم المشهد في الجغرافيا"، مجالات مغاربية، الإتحاد الجغرافي المغربي، السلسلة الجديدة، ع1، 2007، ص ص، 75- 82

❖ حسن باهي " تطورات الهيكلة المجالية المغربية " ، البحث العلمي ، مجلة العلوم الإجتماعية والإنسانية ، المجال : التجليات والإستعمالات، ع 43-44 جامعة محمد الخامس ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، الرباط 1997 ، ص ص 37-46

❖ حسن المباركي، "المجال شبه الحضري بين المنظور التقني الإداري والتحليل الجغرافي : حالة الدواوير الهامشية بناحية مدينة مراكش "، الجغرافية التطبيقية في المغرب، موسى كرزازي ، محمد أيت حمزة (تنسيق) ، سلسلة ندوات مناظرات رقم 122 ، منشورات كلية الآداب بالرباط ، ط 1 ، المحمدية، 2005

❖ فريدة تشيتشيكوغلو، متوسطية؟، بسام حجار (ترجمة) ، تصورات البحر الأبيض المتوسط، الموسط التركي، طلاسا، لبنان، 2003

وثائق التعمير

- **لتصميم المديري للتهيئة العمرانية** (SDAU) لمدينة مراكش، تقرير تشخيصي وتحليلي، 2008
- **خطط النقل الحظري** 2009

مراجع بالفرنسية والإنجليزية

- A-Bailly et al , , **Encyclopédie de géographie**,Economica, Paris , 1995
- A., Bailly, C., Baumont, J M., Huriot, A., Sallez, **Représenter la ville**, Economica, Paris, 1995
- A., Bailly, H.,Béguin, **Introduction à la géographie humaine**, Arrnand Colin, Paris, 1982-2001
- D. Jodelet, **Les représentations sociales**, Paris, PUF, 1994
- G., -Deverdun. **Marrakech des origines à 1912**, T**1**, Rabat**,** 1959
- J., Grafmeyer, **, L’école de Chicago**, Les éditions du champ urbain, éd3 CRU, 2004
- J.Pailhous, **La représentation de l’espace urbain : l’exemple du chauffeur de taxi**, PUF, Paris, 1970
- J. Piaget et coll, **La représentation du monde chez l’enfant**, quadrige, PUF, 1947- 2005

- M., Brahim, Marginalisation **et exclusion, récentes tendance à travers le modèle centre/ périphérie**, Slaiki frère, Tanger, 2007
- M. Grawitz, **Méthodes des sciences sociales**, éd.11, Dalloz, Paris,2001
- Q ., Wilbaux . **la médina de Marrakech , formations des espaces urbains d'une ancienne capitale** du Maroc**,** L'Harmattan **,**2001
- R.M.Downs, D. Stea., **Image and environnement on spatial behavior**, Aldine publishing company, Chicago, 1973
- S., Champley, **Statistique appliquée au sport**, De Boeck et Larcier, éd. De Boeck Université, Bruxelles, 2004
- S, Moscovici, **Psychologie sociale**, Puf Paris, 1984-2005
- Y.André, A .Bailly, R.Ferras, J.P.Guérin, H.Guumuchian, **Représenter l'espace, l'imaginaire spaciale à l'école,** Anthropos, Paris, 1989

Théses

- Abdeleziz el Majdoubi, **Les Mutations d'un espace urbain à Marrakech**, doctorat de 3éme cycle, Université François Rebelais , Tours,1988

- Ait hassou M., **Intervention de l'Etat dans le secteur du logement au Maroc et notamment à Marrakech, le cas du Hay Al Massira**, thèse du Doctorat, F.S.L.G.H, Bruxelles,2003
- Mouradi.M, le **phénomène des douars spontanés dans l'agglomération urbaine de Marrakech : de l'apparition à la restriction** , mémoire de 3ème cycle pour l'obtention du diplôme des Etudes supérieurs en aménagement et urbanisme, INAU, Rabat , 1999

Articles:

- Anselm strauss, **The image of the city by kevin lynch,** the american journal of sociology, vol. 66,n 4, the university of Chicago,1961, pp 426-427
- Francescato D.,Mebane W., "**How citizens view two great cities**", Downs R.,M., Stea D.,dir., cognitive mapping and spatial behavior, Chocago aldin Pub,1973-2005
- Kaira hamza, **Représentations cognitives de l'espace urbain chez les adolescents**, une première approche méthodologique des disparités liées à l'age, laboratoire image et ville, strasbourg
- Mandleur A , « **Croissance et Urbanisation de Marrakech** » RGM, n 22 , Rabat, 1972

- M'hamed Idrissi Janati, **Les représentations en actes: une réinvention de l'approche géographique,** Almadarris 3, 1999, pp61-75
- Rogers downs, **Children's experience of place, by Roger Hart**, Geographical review, vol.70, no.2, American geographical society, 1980, pp 229-230
- Rogers downs, **John Gold, An introduction to behavioural geography**, annals of A.A.G, vol71, No 2, 1981, pp 318-320.

sites web:

http://www.cybergeo.eu
http://www.persee.fr
http://www.states.revues.org
http://mangin2marrakech.canal.com

الفهـــــــــرس

المحتويات	الصفحة